ع
٢١٩٧ م

العدد الرابع — السنة السابعة عشرة

الكلية العربية

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات في السنة

ع م

قيمة اشتراكها ٢٥٠ ملا

دار كتب المسجد الاقصى
انشئت سنة ١٣٤١
ESTABLISHED 1922
LIBRARY ELAKSA

مطبعة بيت المقدس — القدس

العدد الرابع ٢١٩٧ السنة السابعة عشرة

الكلية العربية

مجلة شهرية

في ١٥ تموز سنة ١٩٣٧ — الموافق ٧ جمادى الأولى الهجري سنة ١٣٥٦

العمل البيتي (١)

المجلة : « جاء في ملحق التيمس التربيوي مقال افتتاحي فيه خلاصة تقرير اصدره مجلس التدريس البريطاني بعد ان درست هذا الموضوع لجنة مدة ثلاث سنوات . »

نشر مجلس التدريس البريطاني رسالة عن « العمل البيتي » قام بالتحقيق فيها لجنة عملت ثلاث سنوات متواليات . والتقرير هو على جانب عظيم من الخطورة. ذلك لانه يرمي الى تغيير اساليب انتخاب الطلاب الذين ينتقلون من مدرسة الى اخرى.

كان موضوع العمل البيتي مداراً لمناقشة دارت في اروقة البرلمان البريطاني فكان من الضروري ان يقوم مجلس التدريس بتحقيق ، وقد قام فعلا بذلك ، فكلف مفتشي المعارف المختلفين ان يوجهوا للمدارس اسئلة خاصة اثناء دوراتهم التفتيشية . ودام التحقيق بهذا الشكل ثلاث سنوات واشتمل على جميع انواع المدارس التي ترضخ لتفتيش مجلس التدريس البريطاني من ابتدائية وثانوية الى

(١) يقابله بالانكليزية Home-work وهو العمل او الفروض التي يعينها المعلم ويستعد عليها الطلاب في بيوتهم .

ESTABLISHED 1927 LIBRARY ELAKSA

فنية صناعية .

وقد دلت التحقيقات في المدارس الابتدائية على ان العمل البيتي هو اكثر شيوعاً في مدارس المدن منه في مدارس الارياف ، وهو اعم في المناطق الغنية الناجحة منه في المناطق الفقيرة البائسة ، وهو اكثر شيوعاً في المدارس الابتدائية الصغرى الراقية منه في المدارس الابتدائية الكبرى . ودل التحقيق في ناحية من نواحي احدى المدن الكبرى في جنوبي انكلترا ان كل مدرسة من المدارس الابتدائية الصغرى فيها ، كانت ترتب للطلاب اعمالا بيتية وكان في كل مدرسة من هذه المدارس صف او جماعة خاصة يشتغلون للحصول على منح مدرسية[١] .

وقد وجد ان العمل البيتي يعطى اكثر ما يكون كعمل اضافي للطلاب وذلك لكي يساعد على النجاح في الفحوص الخارجية[٢] وهي فحوص يتبارى فيها الطلاب. ويقول مجلس التدريس ان العمل البيتي في المدارس الابتدائية الصغرى انما هو من اعراض الضغط المسبب عن تخصيص اماكن خاصة للطلاب في المدارس على اساس الفحوص ، وان للوطنية المدرسية[٣] علاقة بذلك ، فان التنافس بين مدرسة واخرى للتفوق في هذه الفحوص شديد حاد في مناطق كثيرة .

***

وقد وجد ان المعلمين في المدارس الابتدائية يرتبون العمل اليومي لطلابهم

---

(١) يعطى في المدارس الانكليزية عدد من المنح المدرسية كل عام على اساس فحوص مباراة يتقدم اليها الطلاب .

(٢) الفحوص التي تتولاها هيئة خارجة عن المدرسة .

(٣) School patriotism اي تعلق الطالب بمدرسته .

تلبية لطلب اباء الطلاب بالاكثر ، وان بعض الطلاب يتلقون دروساً خاصة على ايدي معلمين خارج اوقات المدرسة ، وانهم يدفعون نفقات ذلك من جيوبهم . وفي التقرير ان هذا العمل مناف لاغراض الفحوص التي ترتب بقصد الحصول على منح مدرسية لانها تميز الطلاب الذين يستطيع اباؤهم دفع نفقات التعليم الخصوصي خارج اوقات الدراسة على غيرهم .

ويقال احياناً ان بعض المعلمين يفرضون عملا بيتياً على الطلاب لكي يدرأوا عنهم ما يفرضه عليهم آباؤهم من الفروض البيتية التي هي غير لائقة وتتطلب منهم جهداً ليس بقليل . وقد وجد ان هناك طلابا يقومون بعمل بيتي متكرر ، اي عمل بيتي يفرضه احد افراد العائلة على الطالب بالاضافة الى العمل البيتي الذي تفرضه المدرسة .

ويذكر التقرير ان الآباء لا ينظرون في عملهم هذا الا الى مصلحة ابنائهم المادية وهو الحصول « على مركز خاص » في المدرسة التي يرغبون في الانتقال اليها . وقد يكون هذا العمل الليلي المشترك بين الآباء المتعبين والابناء المنهوكين هو الوسيلة الوحيدة لاتصال الآباء بابنائهم من الجيل الحديث .

وقد اوصى احد الاختصاصيين بمنع الدراسة الخاصة التي يرتبها بعض الآباء لابنائهم مقابل اجر قبل خوض المباراة للحصول على منح مدرسية . وقد تكون هذه اول محاولة لمنع الوالد من تعليم ابنه ، خارج المدرسة . وينتقد التقرير الوالد الذي يبخس المدرسة حقها ، فلا يظن انها تقوم بجميع ما يجب عليها القيام به من تعليم ابنه ، فيدفع اجور معلمين خصوصيين تتراوح بين ٢٠٠ جنيه و بين ٣٠٠ جنيه في السنة الواحدة ، فيحضر الى البيت من يدربه على الالعاب ، وآخر على

الرياضيات وثالث على الادبيات وذلك في اثناء العطل المدرسية ، وقد يقوم بنفسه بتدريب ولده وذلك بان يجهزه بمواد قراءة تعجز مكتبة المدرسة عن تقديمها له. هذا ولا يخفى ان امام المدرسة الابتدائية عقبات لتنظيم مكتباتها بحيث تستطيع ان تتغلب على مثل هذا الوالد ، الذي هو كثير الشيوع بين جميع الطبقات والذي قد لا يكون من الحق ان نحمله اللوم جميعه ، فهو انما يشغل المعلمين ويدفع لهم اجوراً باهظة اثناء فراغهم وفي هذا ما فيه .

٭٭٭

وقد جاء في الفصل الاخير من التقرير بحث عن الفروق البارزة بين المدرستين الابتدائية والثانوية ، فذكر ان المدارس الثانوية والمدارس الصناعية المهنية هي مدارس ذات غرض خاص ، تستدعي وصول الطالب الى مقياس خاص من الكفاية ، في حين ان المدرسة الابتدائية لا تتشدد في الوصول الى درجة معلومة من الكفاية .

ويبحث الفصل الاول في هذه النقطة ويتوسع فيها بقوله « ان المدرسة الابتدائية اليوم تعد نفسها لتجهز عملا يومياً كاملا متناسقاً يتلاءم مع احتياجات الطلاب وعمرهم ، وتفترض ان مطالب هؤلاء الطلاب قد سدت جميعها ، فهم لا يحتاجون الى شيء آخر . ومع رفع سن الدراسة في المدرسة الابتدائية اصبحت الدراسة فيها تنتهي قبل الدور الثانوي بسنة ، واصبحت المدارس التي يرسل الآباء ابناءهم اليها اكثر تنوعاً على توالي الايام ، فصاروا ينتظرون من ابنائهم ان ينجحوا فيها على الطريقة ذاتها . ويذكر التقرير في (قسمه الثانوي) ما يأتي ، وهو قول معقول : « ان الامر الذي لا بد من الاعتراف به هو اننا نعيش في عالم تشتد

فيه المباراة والمنافسة . ففي هذه المنافسة التي ترمي الى الحصول على مزايا اقتصادية تصبح بعض الفروق ذات شأن اي شأن .

وابرز مثال لهذا هو الحصول على شهادات من انواع مختلفة والتسابق لربح المنح المدرسية والجوائز المادية . ولو فرضنا ان هذه الفحوص ، او الشهادات او المنح المدرسية عدلت او الغيت لكان اقدر الافراد ذكاء ، وادقهم تدريباً بلا ريب هو الذي يحوز الجوائز في هذه الدنيا اذا تساوت الامور الاخرى ، ومن الثابت ثبوتاً لا شك فيه ان العمل البيتي اذا نظم تنظيما معقولا كان من اقوى الوسائل لتدريب الذكاء . »

ولم يقل احد بل لم يثبت ان الطالب الثانوي ذا الصحة العادية ، والقوة والذكاء تنفد قواه اذا عمل خمساً وعشرين ساعة كل اسبوع . فاذا شعر الطالب بتعب فان هذا التعب ليس سببه العمل البيتي ، بل قد يكون ناشئاً عن حاجة الطالب الى النوم مثلا . ويتراءى لنا ان الطلاب الذين يسافرون مسافات طويلة للوصول الى مدارسهم قد يحتاجون الى معالجة خاصة .

***

ان اعظم ما يستفيده الطالب من العمل البيتي على رأي المفتشين ، هو ان ينشئ في نفسه فضيلة الاعتماد على النفس ، والمقدرة على الابتداع اذ يترك الطالب يعالج مسئلة تتناسب مع قواه دون ان يحصل على مساعدة احد ، او يتابع بنفسه موضوعاً يثير رغباته . ومن الفوائد الاخرى ، وهي من نوع خلقي ، ان الطالب «ينصرف في العمل البيتي الى العمل المنتج » ويقاوم العقبات وما يشتت انتباهه . وجميع هذه الفوائد بالطبع تحصل اذا تم العمل البيتي في البيئة البيتية — مع الافتراض

بان بيئة البيت ملائمة — اكثر منها لو تم العمل في المدرسة تحت رقابة المعلمين الذين يكونون قريبين من الطالب فيسرعون الى نجدته اذا وجد اي صعوبة . ان من اهداف الدراسة الثانوية ان تساعد الطالب على انماء رغباته وكفاياته الخاصة حتى اذا ما ترك المدرسة استطاع ، ان اراد ، ان يتابع اي درس يختاره بنفسه . فالعمل البيتي يساعد في هذه الناحية ، في انه يعود الطالب ان يكون فكرة تتلخص في ان بيئة المدرسة ليست هي الوحيدة التي يستطيع ان يعمل فيها عملا منتجاً ناجحاً . ولا يستطيع اي طالب ان يصل حقاً الى قيادة اي موضوع او تملك زمامه دون ان يقوم بنفسه بالدرس المستقل غير المراقب .

« وفي الواقع ليست بعض الفروض الخاصة كحفظ الحقائق مثلا هي التي يقوم بها الطالب وحده ، بل عليه ان يقوم بالمراجعة وربط الاجزاء الضرورية وتثبيت الطريقة التي يتبعها والتي توصله الى النتيجة المرغوب فيها » .

ويمكن اجمال صعوبات المدارس الثانوية في ما يأتي:

(١) نقص الرقابة من قبل المعلمين . فان كثيرين من رؤساء المدارس لا يملكون وسائل مناسبة لمثل هذه الرقابة الفعالة . فمن نتيجة ذلك نجد اولا ان بعض الفروض غير المناسبة تعين للعمل البيتي . ثانياً يقللون من تقدير طول الزمن المطلوب للقيام بالعمل . ثالثاً ان مجموع الوقت الذي يطلب من الطالب انفاقه على العمل البيتي هو كثير .

(٢) نقص التنظيم . مثال ذلك ان الطالب الذي يحتاج الى خمس سنوات لاتمام مساق دروسه لا يعطى غير اربع سنوات .

(٣) عدم الحصول على تعاون الآباء .

(٤) سوء الاحوال في البيت وعدم ملاءمتها .

واليك بعض الارشادات للمدارس الثانوية النهارية :

(١) الاستعداد على ان لا يتجاوز خمس ليال ، والافضل اربع ليال .

(٢) عدد الساعات كل ليلة : —

للطلاب حتى سن الرابعة عشرة ساعة واحدة .

للطلاب بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة ساعة ونصف ساعة .

***

لم يكن العمل البيتي في المدارس الصناعية الصغرى في يوم من الايام عبثاً كما كان في بعض المدارس الثانوية ، ولكن طول ساعات العمل اليومي كان مضنياً للطلاب المتقدمين في السن الذين يشتغلون في الصناعة طول النهار ، ويحضرون صفوفاً ليلية ليعدوا انفسهم الى مراكز اكثر مسؤولية .

ويصف التقرير حالة هؤلاء الطلاب بقوله : « ان حياتهم شاقة فلا يتم مساق الدروس التي تتطلب بالضرورة عملا بيتياً ، غير اشداء الاجسام واقوياء الاعصاب . هذا وان كبار العقول من الناس يجب ان يتألموا عند رؤيتهم ان طريق نجاح الطلاب هي وعرة المسلك صعبة المرام . فاصلاح الحالة لا يكون باحداث تغيير في نظام التعليم فحسب بل في مجال الصناعة نفسها وفي عقلية اصحاب الاعمال انفسهم . وكثير من اصحاب الاعمال يقدرون واجباتهم ، فيساعدون الطالب المتدرب الطموح او العامل الذكي النشيط باعفائه بعض الوقت في النهار ، بل نصف النهار او كله ليتمكن من متابعة تعليمه . »

ولم يكن البحث والتحقيق الذي قام به مجلس التدريس العالي والاسئلة التي

وجهت الى المدارس شاملة كل الشمول ليصح ان تكون اساساً يبنى عليه تغيير اساسي في سياسة التعليم ، ولو كان هذا التحقيق في الولايات المتحدة ، لاضيف اليه اختيار « العمل في الحقول » من قبل من يعملون للاصلاح الاجتماعي والمدربين لمثل هذا العمل تدريباً خاصاً ، والقيام بزيارات لعائلات الطلاب في بيوتهم ، ولاضافوا الى ذلك استشارة مصلحة الصحة ، في حين ان هذه المصلحة لم يرد ذكرها في التقرير الا عرضاً من قبل احد المفتشين في مقاطعة ويلس .

قال المفتش « اخبرني طبيب الصحة ان الحالات العصبية ، والاضطراب الجسدي تزداد كل سنة زيادة بينة في شهري نيسان ومايس ، وهو يعزو ذلك الى قلق الطلاب واضطرابهم لقرب الفحوص التي يتبارون فيها للحصول على المنح المدرسية . »

وتدل الاحصاءات الدقيقة لسنوات طويلة ، مما جمعه اطباء الصحة في المدارس الداخلية الثانوية ان المرض في المدرسة يكثر في الاشهر الاولى من السنة المدرسية وهذا قبل ظهور بوادر الفحص . وليس معنى هذا ان فحوص المكافأة في المدارس الابتدائية لا تسبب انزعاجاً عصبياً للطلاب الذين يستعدون لها ، ولكن مجلس التدريس كان في امكانه ان يقدم براهين وحججاً اقوى للاصلاحات التي يرغبون في ادخالها في المدارس .

(عن ملحق التيمس التربيوي)

هل الدور الذي يلعبه المعلم في تغير (١)

لا يزال معلم المدرسة في معتقد رجل الشارع هو الشخص الذي يقدم المعلومات لصغار الاولاد . فانه يقف امام الصف الذي يعلمه مسلحاً بكتابه ، وفي يمينه عصا السلطة ، ساعات معدودات في اليوم . والتعليم على مايظن فيه ، هو عملية شفوية لا يساهم فيها التلميذ الا ببعض الشيء . كأن من واجب المعلم ان يعلم ومن واجب التلميذ ان يتعلم . والمظنون في التعليم انه عمل تحشد بواسطته المعرفة . شيء يقاس بالكمية ، ولذا يقال : عصام يسرف في التعلم ، او هو لا يتعلم الا النزر اليسير . ان التعليم يحتوي على ذكر ما ينبغي ان يتعلم . والتعلم هو عملية استظهار ما يعلمه المعلم فاذا اعيد هذا كلمة كلمة او وضع في كلمات التلميذ كان تعلماً . وبهذه الطريقة يحشى الذهن . قد تكون المعلومات مفيدة . او قد ينحصر نفعها في عملية التحصيل او الاحراز . فاذا كانت العملية صعبة تدرب الذهن .

ليس في مقدور المرء ان يصور المعلم للعقل او يعرضه امام النظر دون ان يعمل العمل عينه للصف . فان الصف هو مجموعة متجانسة . هو يحتوي على ما يتراوح ما بين اربعين وخمسين تلميذا ، كل حاجاتهم واحدة . ولذا يطلب الى الجميع ان يتعلموا الاشياء عينها . ان قواهم تكاد تكون واحدة. ولذا كان المنتظر ان يتعلموا كلهم نفس المقدار في نفس المدة من الوقت .

ان الصف ، وان كان جميع اعضائه اكفاء في الحاجات والكفايات يختلفون في الخلق والسجية. فالبعض حسان فطرة وخلقة .يتعلمون حسناً . يسلكون حسناً هم جادون وناجحون ، افضلهم في غاية الجودة حتى ان التأمل في فضائلهم يعطي

---

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف .

المرء وجعاً لذيذاً في القلب . اما الآخرون فغير حسان. هم الذبابة في الدهن ،شوكة يتطلبون (ويقبلون) تقويماً متكرراً ، غير انهم يظلون سائرين سيرهم السيء بالرغم من العصا . ما هم بالمجتهدين ولا هم بالناجحين . اذا فكرت فيهم الم بك وجع في عنقك .

ان الصف ، وان كان وحدة متجانسة لمقاصد تدريسية ، ليس هو بوحدة اجتماعية . العلائق الاجتماعية هي بين المعلم والتلميذ وحدهما . الاتصال بين التلامذة لا يشجع. التكلم ذنب ، وهو انما يجري خلسة واستراقا . العلاقات الاجتماعية بين التلامذة مقصورة على ما يجري في الملعب من اعمال غير منظمة . وفي المدرسة يجب ان يصد الاولاد و يضبطوا والافهم يلعبون ويكون اللعب مسموحاً به محتملا عندما لا يكون عليهم ان يقوموا بعمل جدي. على انه لا يسمح ان يكون للعب اقل تدخل في عمل الدراسة الجدي .

وصفوة القول فالرأي المقبول هو ان المعلم معطي المعلومات ومثقف الاحداث وملقن الآراء الجامدة . يرى كأنه مقوم للاخلاق بالعمل الكلامي ، وموزع للعدل توزيعاً عادلا، ومؤدب للمتصلبين في الرأي ومكافئ للمجتهدين وناخس للمتقاعسين . ويعد له فضلا انه يعامل جميع الاولاد على السواء .

تتغير الحقيقة — وتلح الخرافة . ولكن كيف تغيرت الصورة . اذا قضى صاحبنا رجل الشارع يوماً او بعض اليوم في حجرة الدراسة وفيها معلم عصري قد تأخذه الدهشة مما يرى . فان الحجرة تتراءى له كما كانت في ايام حداثته . لوح اسود على الجدران وصفوف من القماطر المثبتة بالارض . ولكن بيئة المكان تكون غير مألوفة لديه ، وسيأخذه العجب من الاعمال التي يراها .

المعلم لا يعلم. هنالك ولد يري الصف طائفة من صور جاء بها من بيته • هي صور بركانات. يشرح ويقول :- هذه صورة بركان في اليابان والبياض على قمته هو ثلج. هذا البركان هو جبل عال والثلج عليه طيلة السنة • اليابانيون يدعون هذا الجبل فوجياما. هم يحبون شكله ولذلك رسموه في صور عدة • وهنا صورة بركان في هوايي وآخر في زيلاندا الجديدة • وهنا آخر يدعى بوبو كاتبتل • في اسماء هذه البراكين سرور عظيم للاولاد ، وبخاصة كراكاتوا •

وثمة ولد يتحدث عن بركان في ايطاليا انبأه عنه ابوه على العشاء في الليلة الماضية . البركان طمر مدينتين من مضي وقت مديد • كان عند ابيه كتاب عنه وقد جاء به الى المدرسة • قرأ الفصول الخاصة بالبركان • قرأ لغيره عن الرماد والحمم المقذوفة من على جانبي الجبل ، وهم مصغون اليه • وولد آخر يذكر ان في مكتبة الصف كتاباً عن البراكين وعملها • يوجد ماء تحت الارض وهو يحمى الى درجة حتى انه يتحول بخاراً فينفجر الجبل • يتطوع الولد ويأتي بالكتاب ويفتح الفصل المطلوب .

ولم تأت هذه الحماسة للبراكين عرضاً واتفاقاً. هي جزء من خطة مرتبة ومبحوث فيها جيداً • جاء الالهام بها من قبل المعلم • هي نشأت من قصة عن انفجار جبل بيلي قرأها للصف من بضعة ايام • ولقد تلذذ الاولاد عند القراءة حتى انهم قبلوا بلهفة اقتراحها القائل ببناء بركان من عجين ورق على منضدة من رمل •

يرى الزائر الصف يعمل • ويتراءى المشروع انه يتوسع بعض الشيء • بينا جماعة تصنع نموذجا للبركان تصور الاخرى صور البراكين وهي تقذف. تمد قطعة طويلة من ورق البناء في احد جانبي الحجرة وبعض الاولاد يرسمون بطباشير ملونة •

ولدان يعدان الاسماء لوضعها على مجموعة من صخور بركانية . وصبي آخر ذو فكر علمي يعمل سلسلة من الرسوم لاقسام البراكين الداخلية مظهراً درجات الانفجار المختلفة . هو حمل كثيرين من صفه على مساعدته .

ويؤلف من هذه كلها معرض ياتيه عند تمامه الاهل والاصدقاء للمشاهدة والتفرج . وهنالك طائفة صغيرة من الطلاب منهمكة بتأليف رواية تمثيلية تدعى « النجاة من بومباي » للقيام بتمثيلها في تلك المناسبة، وعندما يقرب المشروع من الكمال توزع بطاقات الدعوة .

إن هذا المعلم ليس بملقن معلومات . انما هو مدير لجهود الطلبة وليس من شأنه قدح زناد الفكر واعطاء الصف النتيجة في شكل درس مرتب ومبوب . هو يرى انه ليس ما يأخذ به النفس سوى الهام الطلبة بالاقتراحات واستفزاز هممهم في شتى الطرق وايجاد كل ما يحتاجون اليه من مواد وادوات للعمل . يرشد الصف بدلا من ان يديره . وعندما يأتي دور تنفيذ ما الهم به طلابه يتركهم وشأنهم ولا يتقدم بالنصائح والارشادات الا عندما تطلب منه . وبهذا يقوم بالتلقين والتعليم عندما تدعو اليه الحاجة . لم يعد المعلم العصري ينظر الى علم التربية كمعلومات للحفظ وحقائق للتعبئة والخزن . هو يعلم انه لا جدوى من تعليم الصغار ما لا اهمية له او ليس له قيمة راهنة . همه تنمية صفات الاعتماد على النفس والابتكار و بعد النظر والجد في طلب العلم . ولاصابة هذه الاهداف يقصر المعلم برنامجه على كل ما له تأثير على حياة الطفل الطبيعية والعقلية .

ان التغيير اللاحق بالدور الذي يلعبه المعلم يوجد مشاكل عديدة تتطلب المعالجة . وعلى العقل ان يتخلص من تلك الآراء الميكانيكية في فن التعلم ، فالتعلم

الذي هو عبارة عن جمع وحفظ للمعلومات يختلف كل الاختلاف عن التربية التي هي عبارة عن عمل واختبار. والعمل يتطلب ادارة، لأن العمل بحد ذاته عديم الفائدة، فهو كالذي يمشي لمجرد المشي دون ان يكون له هدف معين. والاختبار ضروري ولكن لأي اختبار؟ ولأي هدف؟ ما هي اعمال الطفل الطبيعية؟ وكيف يتولد فيه السعي وراء التعلم، واي مكانة للنظام في خطة تعلم كهذه؟

كان السلوك الحسن عند معلم الجيل الغابر وسيلة لايجاد الهدوء والنظام في غرفة التدريس، ولعدم تعكير جو التعليم. فاذا سار التعليم على ما يرام كان القصد من السلوك الحسن قد تم. وكان النظام الكابت والاجباري محموداً ومسلماً به في سبيل ايجاد هذا الهدوء. وكان النظام هذا هو اهم مسببات المذهب السلبي القائل بالحرية التامة. ولكن في هذا المذهب الجديد قساوة واهمالا للطفل. فان ترك امر انتخاب سبل العمل والدرس للولد قبل بلوغه سناً تخوله ذلك هو ابدال حال سيئة باخرى مثلها. لأن الصغير ينظر الى الكبير طالباً الارشاد فيعطى الحرية. هو يطلب خبزاً فيعطى الهواء.

فالسلوك الحسن — وهو السلوك الذي يحفظ التوازن المناسب بين ما يحق للشخص وما تتطلبه الحياة الاجتماعية من كل فرد منها — هو غاية يسعى معلم اليوم الى تحقيقها. ففي البدء يرسم للولد شكل السلوك الذي عليه ان يسلكه. ولكن عندما ينمو ويصبح قادراً على التمييز بين وسائل العمل وعلى تحمل مسؤولية اعماله وعلى استعمال الحرية المعطاة له بحكمة ودراية ترفع عنه القيود والحواجز الواحدة تلو الاخرى. وتكون خطة المعلم ان يعلم تلميذه ارشاد النفس وضبطها والتعاون مع الرفاق. وفي سبيل ايجاد هذه الصفات وتنميتها يلزم ايجاد حالات تتطلبها. والمعلم

العصري يستغل هذه الحالات كلما جاءت .

واذن فالمعلم العصري لا يقدر ان يعامل الاطفال كصف . بل ينظر اليهم كافرادلكل منهم حاجات تسد وصفات تقوى وتهذب وميول تحترم وتغذى . وهنا توجد الصعوبة الكبرى التي تجابه المعلم في دوره الجديد . اما تطبيقه قوانين تعليم الصغار ، مهما حسنت تطبيقاً اعمى فلا يجدي مع هذه الصعوبة فتيلا . والطريقة الوحيدة للتلغب عليها هي فهم عقلية الطفل .

حبيب الخوري

درس الانشاء

تقدم ان للانشاء وجهين بارزين من وجوه العسر ، الاول تعليم الانشاء على اسلوب مشوق مثير للمواهب موجه لدقة التفكير وحسن الاداء ، والثاني تصحيح الانشاء على صورة تضمن اكبر فائدة متيسرة لأكبر عدد من طلاب الصف. وقد بحث الوجه الاول في العدد الماضي ، وارجو الآن ان اتناول الوجه الثاني فأبين مختلف الطرائق في تصحيح الانشاء ، وفوائد وعيوب كل منها ، واختم بملاحظات عامة في الموضوع .

☼☼☼

هناك ثلاث طرائق : —

الطريقة الاولى ان يصحح المعلم الموضوعات خارج الصف . وهذه الطريقة هي الشائعة في اكثر المدارس ، ولكنها كثيرة العيوب قليلة الفوائد ، وما احسبها تحقق المبدأ الذي رسمناه .

فمن عيوبها ان المعلم لا يستطيع ان يقرأ جميع الدفاتر ويصححها على الوجه الاكمل بسبب قلة الوقت . فالموضوع الانشائي يعطى مرة في كل اسبوع ، وقد يدرس المعلم صفاً او اكثر فيتجمع لديه كل اسبوع عدد من الدفاتر لا يسمح له وقته الموزع بين التعليم وتحضير الدروس وتهيئة الفحوص وتدقيق الاجوبة من مراجعتها جميعاً مهما اوتي من النشاط ووفرة الاجتهاد . وهذه حقيقة يؤيدها الاختبار وتواتر الروايات .

ولو فرضنا ان المعلم تغلب على صعوبة الوقت وتمكن من قراءة هذا العدد

الكبير من الدفاتر في كل اسبوع ، فان التجارب قد اثبتت ان الطلاب قلما يعنون بمراجعة موضوعاتهم المصححة ويتنبهون الى الاخطاء المتنوعة التي يضربها المعلم بقلمه متذمراً حيناً وساخطاً حيناً آخر . وقد تقع في الكتابة اخطاء يحار المعلم في كيفية تصحيحها واسترعاء انتباه الطالب اليها بمجرد الاشارة بالقلم ، وذلك حين يأتي تركيب الجملة ركيكا ، او حين تكون الفكرة غامضة ، او حين تكون اللحمة بين الفقر ضعيفة او حين ترد الفاظ في غير موضعها وما الى ذلك . واعرف في طول حياتي المدرسية معلماً واحداً فقط استطاع ان يذلل هذه العقبة بعض الشيء. (١)

كانت طريقة هذا المعلم ان يوزع على الطلاب في بدء السنة الدراسية ورقة تضم سلسلة من الرموز يشير كل رمز منها الى نوع الخطأ الذي يحتمل وقوعه في الكتابة فرمز خاص بالخطأ الاملائي وآخر بالخطأ النحوي وآخر بالجملة الركيكة وآخر بالغموض وآخر باللفظة النابية عن موضعها وما الى ذلك . ويطلب من كل طالب ان يلصق هذه الورقة في صدر دفتره ، وان يراجع موضوعه بعد التصحيح مسترشداً بالرموز ، فيتنبه الى ما يفهم ويراجع المعلم في وقت خاص فيما لم يفهم ، وبذلك لا يعود الى اخطائه السابقة . والحق اننا استفدنا من ذلك المعلم كثيراً والفينا طريقته خير الطرائق لانا كنا نشعر بلذة في مراجعة الموضوع وتفهم الرموز والتنبه الى ما يريد التنبيه اليه . ولكن هذه الطريقة طواها المعلم في حقيبته يوم سفره وما عدنا نراها عن غيره . لا شك في ان هذه الطريقة تحتاج الى وقت طويل ، واغلب الظن ان المعلم كان لديه الوقت الكافي لأنه كان رئيس احدى الدوائر في الكلية

---

(١) علمت بعد كتابة هذا المبحث ان قد تنبه الى نفس الطريقة استاذ اخر في كلية بيروت الاميركية ووضع كتيباً اودعه ملاحظات في « الانشاء الانكليزي » عام ١٩١٢

وكانت ساعات تدريسه قليلة كما كان عدد الطلاب قليلا . وما اعتقد ان المعلم كان بوسعه ان ينهج هذا المنهج لو كانت ساعات عمله كثيرة كما هو شأن المعلم في بلادنا ، أو لو كان عدد الطلاب فوق العشرة كما هو الحال في صفوف جميع مدارسنا . ولهذا اشك كثيراً في امكان تطبيق هذه الطريقة عندنا على وجه صالح للاعتبارين السابقين .

وعيب ثالث ان المعلم حين يخلو بالدفتر لا يستطيع ان يحاسب الطالب على افكاره من حيث السعة والعمق وتوفر النقاط وتنسيقها وجودة الاداء من دقة ووضوح ومتانة مما لا يتيسر الا بالمشافهة . وقد سبق ان بينت اهمية هذا الاتجاه في تعليم الانشاء وان الاقتصار على الطريقة القديمة القائمة على محاسبة الاخطاء اللغوية وحدها مرهق ومجدب في آن واحد .

ونقيصة اخرى ان الطلاب كمجموع لا يستفيدون من تصحيح المعلم وارشاداته وبمعنى آخر لا يستفيد الطالب الضعيف من الطالب القوي والطالب المتوسط في مواهبه من الطالب الموهوب المطبوع . وفي الانشاء على وجه الخصوص تتيسر هذه الفوائد سواء أجاءت من ناحية الخصب في التفكير الذي يفطر عليه الطلاب ام من ناحية المحاسن الكتابية . فالطالب نظار الى زميله حريص على المنافسة والتقليد الى حد كبير . وليس ادعى الى اثارة المواهب العقلية من اشتراك الطالب في البحث والمناقشة والنقد ومتابعة الاخطاء او المحاسن الكتابية . وهذا لا سبيل اليه بتصحيح الدفاتر في خارج الصف .

***

والطريقة الثانية هي ان تصحح الدفاتر في الصف بأن يقرأ الطالب موضوعه

ويشترك الطلاب جميعاً مع المعلم في متابعة النقاط الواردة وانسجامها وملاحظة المحاسن والاخطاء . ثم يسأل المعلم طالباً او اكثر عن العناصر التي تبينها و يقارن بينها و بين العناصر التي قصد الطالب اظهارها ويستنتج من ذلك مدى توفيق الكاتب في نقل افكاره الى السامع او القارئ . ثم يعالج العناصر ويبين قوتها وضعفها وما يمكن ان يضاف وما يصح ان يحذف ، وكيفية انسجامها ، ويعرج اخيراً على الاخطاء التي وردت سواء ما اتصل منها بالاسلوب او القواعد . ويستمر المعلم في استعراض الموضوعات على هذه الطريقة ساعـــــة او اكثر حسب الوقت المقرر لهذه المادة .

لا ريب في ان لهذه الطريقة عيباً لا يمكن اخفاؤه ، ذلك هو قصر الوقت ، ولكنه عيب يمكن معالجته بتخصيص حصتين متواليتين في المنهج للانشاء اسوة بالقراءة . ولا حاجة الى التأكيد أن القراءة والكتابة هما الموضوعان البارزان الجديران بالعناية جلها او كلها في دروس العربية ، وليست القواعد في نظري اجدر بالوقت والتعهد من احدى هاتين المادتين لا سيما وهي متداخلة فيهما . وأظن ان الرغبة الشديدة التي يظهرها معلمو العربية و بعض الادباء في تخفيف القواعد وتذليل مصاعبها والانصراف الى العناية بالقراءة والكتابة رأساً ، خليقة بكل مؤازرة وملاءمة للتوسع في الوقت المخصص للانشاء .

ويلحظ من جهة اخرى ان هذه الطريقة تحقق جل الفوائد التي تلتمس من الانشاء ، فهي تدع مجالا للمعلم لأن يناقش الكاتب في افكاره ووسائل تعبيره وما يتصل بذلك ، وتشرك الطلاب مع المعلم في المناقشة ومع الطالب صاحب الموضوع في الافادة . وتبيح للقوي الموهوب ان يؤثر على الضعيف ، وتدفع الملل

عن الطلاب ، وتشغلهم جميعاً في وقت واحد وموضوع واحد ، وتلفت النظر الى الاخطاء على اظهر صورة .

***

والطريقة الثالثة هي ان يصحح المعلم دفتر الطالب امام عينيه . وتمتاز هذه الطريقة على السابقة بانها تمكن المعلم من معالجة كل طالب حسب مزاجه وميوله واستعداده ونظرته الى البحث . ولكل طالب من هذه الخصائص شطر لايشاركه فيه غيره . وهذا التعهد الافرادي — إن صح التعبير — من اغراض الاتجاه الحديث في تدريس العلوم كافة ، ويمكن تطبيقه حين يكون عدد طلاب الصف قليلا ، او حين يتعهد معلم خاص ببضعة طلاب . وتقوم صعوبات دون اتباع هذه الطريقة في مدارسنا منها ضيق الوقت ، وعدم استفادة الطلاب كمجموع من التصحيحات ، وضياع وقت الطلاب عدا من يصحح دفتره . على انه إن تيسر للمعلم ان يصحح عدداً من الدفاتر في خارج الصف فيمكنه ان يصرف ساعة الانشاء باشغال الطلاب بمراجعة دفاترهم المصححة ، وبانصرافه هو الى النظر في دفاتر بعض الطلاب التي تحتاج الى عناية خاصة ، وبذلك تزول الصعوبة الاولى والثالثة . اما الصعوبة الثانية فيمكن ان يتغلب عليها بجمع الاخطاء العامة من الدفاتر وعرضها على الطلاب جميعاً في الصف .

هذه الطريقة ، في الواقع ، مفيدة بتسهيل الاتصال بالطلاب منفردين وسبر مواهبهم ومعالجة خصائصهم ، ولكن تظل الطريقة الثانية اعم فائدة وايسر تطبيقاً . على انه ليس هناك ما يحول دون التنويع في اساليب التعليم واستعمال هذه

الطرائق الثلاث[1] للاحاطة والاختبار والاخذ بالاصلح عن تجربة وتثبت .

***

وتحسن الاشارة قبل الختام الى مسائل اربع :

الاولى : ان من الطلاب من هو مطبوع على الكتابة موهوب فيها كما ان منهم من هو ذو موهبة في الرسم او الموسيقى او التصوير وما الى ذلك من ضروب المواهب الفطرية . فلا ينبغي للمعلم ان يقسو على الطلاب ويسرف في وضع الارشادات ويبالغ في اظهار العيوب ، فالمواهب تقتل بالضغط والقهر ، لا سيما والقصد من الانشاء تنشيط عمليه التفكير ، والتفكير لا يقبل الغل والتقييد . ولهذا يحسن ان يكون درس الانشاء للتوجيه اولا وللتثقيف والتقويم واصلاح الاخطاء ثانياً مع كثير من التحفظ والاحتياط .

الثانية : ان الموضوعات الانشائية يجب ان تكون ملائمة لعقول الطلاب وامزجتهم بتدرج اعمارهم ، وان تكون متصلة بالحياة العامة وبمجرى الحوادث . والتدرج يصح ان يكون من التعبير عن الفكر في جمل قصيرة ، الى القص ، الى إعادة ما يقرأ او يسمع ، الى الوصف المقيد ، الى الوصف الحر ، الى التقليد في الاسلوب او المعنى او الاسلوب والمعنى معاً ، الى الانشاء المبني على المناقشة والمناظرة الى الانشاء الابتكاري ، الى الانشاء العلمي . اما الموضوعات المتصلة بالحياة العامة فكوصف الاعياد والمشاهد والآثار والحفلات وتلخيص قصة سينمائية او رواية وما الى ذلك مما يقع تحت الحس ويتصل بالشعور ويعين على جمع المادة وتقوية

---

(١) هناك طريقة رابعة بأن يصحح الطلاب دفاتر بعضهم بعضاً كما يحدث في تصحيح الاملاء ، وقد اخرجت من البحث لأنها عقيمة وعسيرة التنفيذ لكون الاغلاط الاملائية محدودة واغلاط الانشاء غير محدودة ولصعوبات اخرى لا مجال لتعدادها الآن .

الملاحظة ومعالجة الابحاث المتصلة بالوطن والمجتمع .

الثالثة : ان اللغة العربية تغلب عليها صفة الخطابة لانها وضعت في الاصل للأذن وظلت كذلك قروناً . ومع التسليم بان لغة الخطابة من ارقى انواع الأدب فان الحياة الحاضرة تقتضي عناية بالموضوعات العلمية الدقيقة التي تقف عندها العين طويلا ويجول فيها العقل ناقداً . يضاف الى ذلك ان اكثر الطلاب يتخرجون من المدارس ليعملوا في مختلف المهن مما يتطلب كتابة متزنة دقيقة . وكما يعنى المعلم بالطلاب القلائل اصحاب الاذواق الادبية ويعدهم ليكونوا ادباء منشئين عليه ان يعنى باكثرية الطلاب الذين يتخذون اللغة وسيلة للتعبير عن افكارهم وابحاثهم. والتفريق بين اللغة الادبية واللغة العلمية عظيم الاهمية في حياتنا الحاضرة .

الرابعة : أن درس الانشاء في الواقع متصل بجميع الدروس التي يتلقنها الطالب في المدرسة من تاريخ وجغرافيا ورياضيات وما اليها . وان لم يستطع المعلم ان يزيد شيئاً في هذه المواد حين يمسها موضوع الانشاء فعليه ان يوجه الطالب الى حسن التنظيم والتنسيق ودقة الاداء . وبذلك يساعد معلم الانشاء جميع معلمي المدرسة ويكون اكبر عون لهم بتهيئة الطلاب لحسن الفهم ودقة التعبير . وهذا يوضح اهمية درس الانشاء في المدرسة وخارجها .

اسحق موسى الحسيني

تربية حس الزمن في التاريخ

اساتذة التاريخ مختلفون فيما بينهم عن حكمة تعليم الترتيب الزمني للتلاميذ في سن مبكرة، ومعنى ذلك اعطاء الحوادث بحسب ترتيبها في عمر الزمان وربط الحادثة بالتاريخ الذي حدثت فيه . واختلافهم في هذه النقطة ادى بهم الى الاختلاف في المادة التاريخية المناسبة للتلاميذ بين السابعة والحادية عشرة من اعمارهم. فبعضهم يرى ان يعطى التلاميذ وهم في هذه المرحلة قصصاً مختارة من تراجم العظماء فتراجم العظماء فالتاريخ القومي ، على ان تكون هذه كلها مرتبة ترتيباً زمنياً بحيث لا يضع التلاميذ سقوط تدمر قبل انتصار تحوتميس في معركة مجدو وان يعرفوا ان حمورابي جاء الى العالم قبل سقراط وهكذا . وقصدهم من تعلم قصص التاريخ وسير العظماء بحسب ترتيبها الزمني تفهيم التلاميذ ان هذا الترتيب الزمني مهم في التاريخ و إعدادهم لمراعاة هذه القاعدة في دراسة التاريخ فيما بعد. و يردون على القائلين بأن عقل الطفل اقل من ان يدرك الحقب الطويلة من الزمن البالغة الالوف من السنوات قبل الميلاد او بعده باعتباره قاصراً عن ادراك مدى القرون وهو في العقد الاول من عمره بهذا القول وهو ان الطفل يدرك وهو في الرابعة او الخامسة من عمره معنى «قبل» و «بعد» بحيث لو سمع من امه حكاية من الحكايات لتساءل هل جرت حوادث هذه الحكاية قبل ميلاده او بعده، وانه يعرف معنى امس و « غد » وانه في السنة العاشرة من عمره يكتب تاريخ اليوم بحساب الشهر والسنة في رأس كل درس من دروسه، وانه يعرف معنى التعاقب الزمني من اختباره الشخصي في الحياة كولادته بعد اخيه الاكبر مثلا بثلاث سنوات وقبل اخته الصغرى بسنتين، وانه يعرف انه دخل المدرسة بعد ولادته بست سنوات او سبع وان اموراً معلومة حدثت في البيت، وفي سن الرابعة وبعضها وهو في سن السادسة، وانه يستطيع بعملية حسابية بسيطة ان يؤرخ هذه الحوادث كما ان

قوة الربط لديه قوية الى حد ما ، فاذا تعلم الحادثة مقرونة بتاريخها يذكر التاريخ اذا ذكر الحادثة. وقد جرت ادارة معارف فلسطين على هذه القاعدة في ترتيب منهج التاريخ بحيث قررت عدداً من الحكايات للصف الاول فعدداً من تراجم العظماء للصف الثاني ، ثم ما هو معلوم من مقرر الصفوف الاخرى واردفت هذا المنهج بقوائم ضمنتها تواريخ اشهر الحوادث في مقرر كل صف وطالبت بتحفيظ هذه التواريخ للتلاميذ في سياق الحوادث المرتبطة بها مع اعتبار بعض التواريخ نقاطاً بارزة في جدول هذه التورايخ بحيث يتمرن التلاميذ على ترتيب الحوادث بحسب وقوعها قبل هذه التواريخ او بعدها مع حساب المدة بينهما . وغرضها من ذلك ان يعرف التلاميذ زمن الحادثة المعينة بحيث لا يقدمونها ولا يؤخرونها عنه .

اما رأي الفريق الثاني فخلاصته ان الطفل قبل الثانية عشرة من عمره لا يقيم وزناً للتاريخ مهما كان نوعه، واذا تعلم شيئاً فمعرفته لا تعدو ان تكون الفاظاً جوفاء يكررها ولا يفهمها ثم لا يلبث ان ينساها ، ولذلك اسباب منها ان التاريخ سجل لأعمال الراشدين من بني الانسان وان هذه الاعمال تسمو عن مدارك الطفل واختباره . هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان الطفل لا يتلذذ بالحوادث البعيدة عنه في الزمان والمكان. والمواضيع المدرسية لا تعلم بالقياس الى اهميتها في نظر الكبير بل بحسب قيمتها في تنشئة الطفل و إرهاف ذهنه ، اذ لا خير في علم لا يصبح جزءاً من نفس الطالب. فالمعلومات التاريخية التي يتلقاها الطفل قبل الثانية عشرة من عمره تتراكم في حافظته اكداساً فوق اكداس ثم تزول دون ان تترك اثراً ، مع ان المهم في التاريخ تكون عقلية بصيرة بالامور التاريخية تدرك تعاقبها واستمرارها والتحامها لا ادخار المعرفة عنها. فالطفل يجب ان يتأثر بالحوادث التاريخية وان يعرف مقدار صلته بها وتأثره منها في حياته الحاضرة .

في تعليم الجغرافية في السنوات الاولى لا نبتعد في المواضيع التي نختارها عن بيئة الطفل لتكون دراسته قائمة على اساس من المشاهدة الحسية والاختبار الخاص ولتتوافر لديه اقيسة يقيس بها ما يتعلم من جغرافية الاقطار الاخرى. ولا نحتج ونحن ندين بهذا المبدأ بأن لعلم الجغرافية نظاماً خاصاً في ترتيب مباحثه بل نلتزم معنى القول المأثور « والاقربون اولى بالمعروف » فلماذا نشذ عن هذه القاعدة في تعليم التاريخ في المرحلة المدرسية الاولى ؟ ولذلك فهم يقولون باختيار حوادث قريبة في زمانها ومكانها من الطالب بحيث لا تبتعد في الزمان عن ثلاثين عاماً وفي المكان عن بلده ، فيحدثون التلميذ عن تقدم وسائل التنوير او ذرائع النقل او طرق نقل البريد في مدة ثلاثين عاماً. فأمثال هذه المباحث تقف التلميذ على تقدم ما يرى حوله من اساليب الحياة وتعرفه أن الناس احتاجوا الى التنوير ووسائل النقل قبل ان يولد، وان هذه الوسائل تتطور من حين الى آخر ، ويعلمونه التاريخ الذي حدث فيه التطور بكل ناحية من هذه النواحي ويربطون هذه التواريخ بعمر ابيه او عمر اخيه الاكبر ثم يثبتون تواريخ التطور بخط افقي او عمودي وربما صوروا نموذجاً من وسائل النقل او التنوير في كل تاريخ . ويقسمون خط التاريخ الى قسمين قسم خاص بالتطورات التي حدثت قبل ولادته والقسم الآخر بما حدث بعد ذلك . اكتفي بهذا المقدار من رأي الفريق الثاني وانتقل للكلام عما نستطيع ان نقوم به في مدارسنا لتربية حس الزمن في الاطفال .

ارى ان نختار من حياة الطفل بعض حوادث تساعد على تأريخها كميلاده وميلاد اخيه واخته وامه وابيه ودخوله المدرسة ثم حوادث اخرى جرت في المدينة في ايامه او قبل ذلك بمدة لا تزيد عن عشرين او ثلاثين عاماً ، فهذه وامثالها تساعده على إدراك حس الزمن . ومما يساعد على ذلك الرسوم البيانية المتعلقة بنفوس البلد او القرية او مساحة اراضيها المزروعة برتقالا . فقد شاهدت في احدى المدارس

الاجنبية ان التلاميذ قد تمرنوا على اراءة تدرج نفوس القرية ومساحة اراضيها المغروسة بالاشجار برسوم بيانية ملونة، ومن هذه الرسوم البيانية يستطاع انشاء خطوط زمنية تساعد في تقريب حس الزمن من مدارك التلميذ . وفي المدارس الراقية توجد خرائط زمنية مصورة لبيان تطور وسائل النقل او نظام البريد في تواريخ مختلفة، وامام كل تاريخ صوره الاداة التي كانت شائعة فيه.

متى جاء الطفل لدراسة التاريخ المنظمة يستمر على رسم الخطوط الزمنية لحوادث العصر او العصور التي يتعلم عنها واضعاً الى جانب كل تاريخ الحوادث الهامة التي جرت فيه .

من المهم ان نرى بعد الآن في دفاتر التلاميذ خطوطاً زمنية يرتبون فيها الحوادث بحسب تواريخ وقوعها .

احمد خليفة

بين اروقة المدرسة

كان الحر شديداً ،وحرارة الشمس لاذعة ، فآثر سمير ان يصرف وقت الظهر في حديث مع صديقه زاهي بين اروقة المدرسة التي كانا على وشك انهاء صفوفها للخروج الى ميدان الحياة الكبرى ، فتمنى لو خصصت مصلحة الاذاعة الفلسطينية ساعة الظهر المملة لاحاديث متنوعة يسمع فيها جمهرة الطلاب الى رجالات العلم وقادة الفكر .

وقد بدأ سمير يلاحظ ان اخوانه الطلاب اساؤوا فهم قيمة الثقافة لانهم قرنوها

« حديث اذيع بالراديو وينشر بأذن مصلحة الاذاعة الفلسطينية »

بالمكافآت المالية والرواتب الشهرية وبحمل الدرجات العلمية فساروافي هذا السبيل يحشون ادمغتهم بمعلومات جوفاء ، ويستوعبون بطون الكتب دون تفهم او دراية — لذلك ردد سمير كلمات استاذه في درس الادب عندما عرف الثقافة بمقدار سمو الفرد في الشعور ، وتذوقه لايات الجمال ، وترهفه في الاحساس ، وتقربه من ينبوع الحقيقة ، وهمس في اذن زاهي قائلا سوف لا تصقل نفوسنا وترهف عواطفنا عن طريق الدراسة الجافة وحفظ المعلومات الوفيرة ، فنحن في مسيس الحاجة الى التقرب من شخصيات فذة اما في اروقة المدرسة او قرب المذياع — تهذب تيارات افكارنا وتكيف اتجاهات نفوسنا ونوازع افئدتنا لتسمو في هذه الحياة وتحلق بها حيث الرفعة والخلود . فنحن كالزورق التائه فوق الامواج نخترق سفرة الحياة المدرسية ونتأهب للحياة الكبرى وليس لنا ثمة مرشد او هاد ..

وهنا اقتاده زاهي الى شجرة وارفة الظلال قريبة من ذلك الرواق فاستلقينا على مقعد هناك وكان زاهي طيلة هذه الفترة مصغياً لتمنيات سمير الجميلة. وقد اخذ يفكر بابناء الحياة الذين اقتصرت ثقافتهم على الناحية العلمية دون ان يكون للعواطف والفنون اثر فيها ، فتذكر لساعته قول استاذه له انه في وسع العلماء قياس الابعاد الفلكية وسعة الاجرام السماوية ، ووزن اصغر دقائق المادة ، ورؤية ادق الكائنات الحية لكنه ادرك وحاول ان يجعل زميله يدرك ان ما من احد يستطيع ان يقيس اثر المعلم الصالح في نفس تلاميذه ، او تأثير الشخصيات الفاضلة في انارة النفوس .

فهذا الاستاذ ياسمير قد تسرب عطفه الينا فسرى في عروقنا ، وشمل نفوسنا فنحن ننقاد اليه ونؤخذ باقواله لانه صديقنا الامين ومرشدنا العامل على تذويقنا معنى الحياة وافهامنا سر الوجود — ومنيتنا في هذه المدرسة التقرب منه ، والاحتكاك

به ، والتعرف عليه وعلى امثاله من شخصيات جبارة لنحاول تقليد هـذه الفئـة المباركة التي هي بالحقيقة عصب الامة العامل على رفع مستواها و بناء نهضتها .

وهنا اشتدت لفحة الحر فنشر سمير اردان ثو به واخذ يحدق في جذور الشجرة التي يتفيا ظلها والتي يمرح تحت افنانها جماهير الطلاب اخوانه فتذكر درسه عن الـكربون وحالا عرض على صديقه تلك الملاحظة التي بدرت له فقال « الثابت لدينا ان الفحم والماس من الـكربون يستخرجان من باطن الارض لان اصلهما واحد . ولشد ما تدهشني تلك المساواة بين المادتين لدى وجودهما في جوف الارض لان الطبيعة الغاشمة لا تفرق بينهما ولا تميز ماسة براقة على فحمة قاتمة — انما يد الانسان هي وحدها التي تجري ذلك التغيير وتخلق تلك الفروق ، فيستعمل الفحم وقوداً للمعامل واداة لتسيير الآلات في حين انها ترفع من قيمة الماس وتجعله زينة الملوك و بهجة التيجان . »

فقاطعه زاهي طروبا لتلك العبرة التي استخلصها زميله من درسه الطبيعة ولم يمهله لاتمام ملاحظاته فقال « هذا ما كنت الاحظه دوما يا سمير ، فامنا الطبيعة عادلة وتسير بموجب انظمة شاملة وقد تحققنا في اثناء دراساتنا المتنوعة ان كل ما في هذا الـكون يدعو الى الانصاف ، و ينزع الى العدالة — فها شمسنا تشرق باشعتها الذهبية على السهل والجبل فلا فرق عندها بين منخفض او مرتفع ، وهذا البحر العظيم تثور امواجه حين تقصف الريح وتشتد العاصفة فلا يساير من يطوي صفحته او يشق عبابه ، وسيان لديه سفينة الامير النبيل او زورق الصياد الحقير ، فثورته لا تخضع للرفعة والعظمة وصفاؤه غير مرتبط بالثروة والجاه . فالعدل يا اخي رهينة هـذا الـكون ، والمساواة شعاره ، انما هي يد الانسان في هذا الزمان — وفي شتى الازمنة الماضية — هي التي شوهت جمال ذلك العدل الطبيعي وبددت مظاهر تلك المساواة العادلة »

فتألم سمير في قرارة نفسه من ضروب الأثرة والمحاباة التي تمارسها مؤسسات المدنية الحاضرة -- انما آثر الا يخوض غمار هذا البحث فيكشف عن مخاز كثيرة دفينة — فكبت فكرة الأثرة والمحاباة وقال ما دمنا يا زاهي نتحدث عن ذلك التبديل والتغيير الذي اجراه الانسان في سنن الكون اود ان اصارحك ان الزمان الماضي كان خيرا من زماننا الحاضر ،ولقد اصبحت آخذ بهذه العقيدة أثر مطالعاتنا لاشعار هوميروس القصصية ، وقراءتنا خطب شيشيرون النارية ، وها معظم الكتاب الذين نطالع تحفهم في درس الادب ينزعون الى تقديس الماضي والتشاؤم من حياتهم الحاضرة ، وعصرهم العتيد المقبل .

وها والدي يحسد دوما اجداده على صحتهم وعزيمتهم ، وعلى الخيرات الوفيرة التي تمتعوا بها والسعادة التي رفلوا بمطارفها في العصر الماضي الذهبي فاعذرني من ان نعرف هذه العصور المفعمة بالويلات والمترعة بالشرور وقدقدست ذكريات الماضي الجميلة ، وتشاءمت من هذا الزمان المرير .

اما زاهي فوجدها فرصة مناسبة للتأثير على نفسية صديقه وتفنيد هذه النظرية التي جلبت الهموم الى نفسه، وسودت الدنيا في اعين كثير من الطلاب الذين على شاكلة سمير فقال « قلما نجد في حياة الامم نعيما لا يحول او بؤسا لا يزول — والحياة جميلة يا صاح ، جميلة اذا اقبل الدهر وجميلة اذا ادبر — وهي جميلة لمن يضحك لها او بالحري لمن يضحك منها والناس يصرفون معظم اوقاتهم بين الرجاء والاسف — الرجاء بمستقبل مظلم والاسف على ماض زالت معالمه و بقيت ذكرياته — فانبذ ذلك الرجاء المفني وابعد عنك ذلك الاسف الممض — وضع منظارا غير ذلك المنظار القاتم الذي اعتاد فريق كبير من اخواننا ان يضعه على بصيرته ، فيرون المتاعب في الحاضر ،و ينسبون كل شر و بلية الى العصر العتيد. كثيرون من اضرابك

اخذوا يقدسون الماضي ويفرون من مسؤوليات الحاضر — وما برهانهم بصحيح ولا هم على حق في تلوين ذلك الماضي بالوان الرفعة والعظمة . لماذا تعتقد ان القدماء هم الجبابرة الابطال وتجرد القوة من هذا العصر وابطال هذا الزمان ، قد تكون قد سمعت عن عيد الاعلام في الخامس من شهر ايار الذي فيه يزين الياباني مدينته باعلام اجداده القدماء ، احياء لذكرى الماضي . ويتبادل الطلاب تماثيل ابطالهم القدماء تخليدا لهم وتقديسا لعظمتهم — انما كل ذلك لا يبرر تصرفاتك في تقديس الماضي — وها الاحصاءات تدل بصراحة على ان نسبة الوفيات بين الاطفال آخذة في النقصان ، وان حياة الطبقات المختلفة اخذة في التحسن . »

اجل يا زاهي فكل عصر له فضائله ورذائله والايام دول والاعمال نوب ؟ وكثير من نظريات ظنها العلماء صائبة دكت من اساساتها اثر اكتشاف جديد ، او ظهور عالم فند ما قبلناه اجالا طويلة فغاليليو غير المعتقد الذي ساد منذ زمن بطليموس ، وباستور باكتشافه الجراثيم غير المألوف منذ زمن ابقراط — انما هذا الحاضر دائما نحس به ونشعر بصعوباته وها هي اخطاره تحيط بي من كل ناحية — فان نظرت الى مستقبلي وعما قريب اترك اروقة المدرسة هذه — اراه قاتما مظلما في وجهي — فسأجوب بلاد الله الواسعة مفتشاً عن عمل فلا اجده — سأطرق بشهادتي العلمية ابواب العمل فاجدها موصدة ، وسأرى بأم عيني كثيرين على شاكلتي يجرون اثواب الخيبة والفشل وراءهم . حملتني مغريات الزمان على هجر قريتي وشوقتني المدينة الى لذاتها واطايبها . فضحيت في سبيلها كل مرتخص وغال وكلما زدت فيها تقرباً زادت مني نفوراً — فما احلى تلك البساطة الساذجة ..

فاشفق عليه زاهي ولم يدعه يتمادى في تصوراته الاليمة بل ذكره لساعته بقول الفليسوف « هيوم » بان مزاجاً سعيداً يساوي دخلا سنوياً قدره الف جنيه

وتعريف الكاتب ديدرو للحياة « بان يولد الانسان وسط الالم والصياح وان يكون العوبة الجهل والامراض فيرى ذلك احسن هبات الطبيعة وافضل عطايا الاباء لابناء الحياة » وهنا عاد الرجاء الى قلب سمير ، ولمعت بارقة الامل في قلبه ، فتعاهد الرفيقان على تقوية ايمانهما بالمثل الاعلى ، وتوجيه افكارهما للحياة الكاملة وتكييف عاطفتهما نحو الهدف الاسمى .

وعقب ذلك التحالف بين الرفيقين ان قرع جرس المدرسة فهرعا الى الصف وفي قرارة نفسيهما شغف زائد لمتابعة مثل الاحاديث التي ما برحت تجول في خواطر الطلاب الذين على غرارهم . فتعاهدوا على تأليف حلقات ادبية في رواق المدرسة يفصحون فيها عما تكنه صدور الطلاب من امان وآمال ، وافكار وخيالات . فمن المدرسة يرجى ظهور النور وانبثاق الخير ومن احاديث تلك العصبة في اروقة المدرسة نتوقع الاصلاح ونرقب بوادر نهضة الشباب المباركة .

الناصرة ابراهيم مطر

الحضارة العربية كعامل من عوامل حضارة اليوم

ان حضارة الانسان في يومه الحاضر وما بلغته من علو كعب وبسطة نفوذ على قوى الطبيعة ليست نتاج قبيل واحد او بناء امة منفردة وانما هي محيط من الماء المتجمع من القطرات النازلة في مختلف الاصقاع والمتحدرة اليه في الاودية والروافد . فكل امة ظهرت على مرسح الحياة قامت بنصيبها في بناء الحضارة وامدت هذا المحيط بقناة تتصل به دفعت فيها تراثها المدني . وكما تمتزج هذه المياه الجارية الى المحيط من شتى الجهات كذلك تتفاعل حضارات الامم المختلفة فتنتج حضارة انسانية عامة معقدة ليس لامة واحدة من امم الارض ان تدعي نسبتها الى نفسها وحدها . الا ان هذه الجداول والانهار التي تمضي لتختفي في خضم المحيط منها الكبير ومنها الصغير وكذلك ، امم الارض في امدادها حضارة الانسان منها ما يكون مددها غزيراً بارزاً ومنها مايكون يسيراً لا يلفت النظر .

ولعل اكبر مجرى حمل الى محيط المدنية اغزر الماء وانفعه هو مجرى الحضارة العربية الاسلامية الذي تدفق سيله طيلة تسعة قرون متوالية .

ولست بمحاول في هذا المقال ان ابحث في حضارة العرب وما امتازت به وما تفضلت به على غيرها فلهذا شرح طويل اتركه للمستقبل . وحسبي ان اتحدث قليلا او الم المامة بسيطة بمظاهر الحضارة العربية التي لا تزال حية قائمة في صلب حضارة اليوم والتي نستطيع ان نشير اليها دون ان نخشى اسرافاً في التفاخر او نتعرض لافاضة في التدعيم والتدليل .

لم تلق حضارة من الحضارات الظلم والتجني الذي لاقته حضارة العرب من مؤرخي القرنين الماضيين . فحضارة الاغريق عند هؤلاء هي درة الحضارات وتاج

المدنيات وحضارة قدماء المصريين او ما بين النهرين تثير الاعجاب والاكبار بل حتى حضارة المكسيك و بيرو القديمة قمينة بان تبعث الدهشة في نفس الباحث المنصف اما حضارة ملأت السمع والبصر ووضعت اساس الحضارة الحديثة فليست لدى هؤلاء المؤرخين المنصفين الاعلام الا نقطة انتقال لا شأن لها بين حضارة القدماء وحضارة اليوم وهذه المدنية التي عمرت الارض ما بين الاطلنطي وسور الصين لم تزد لدى هؤلاء عن خزانة حفظت كنوز الاغريق او حملتها الى اوروبا بلا زيادة فيها او توسيع في حدودها . نعم هذا هو حكم مؤرخي الغرب في حضارة ملأت نفسهم حسداً وقلبهم رعباً .

ولقد شقيت هذه الحضارة بجهل الامم العربية في القرون الاربعة السالفة وتضييعهم لتراث امجادهم كما شقيت بتعصب الامم الاوروبية التي أعملت في معالم هذه الحضارة معاول الهدم والتخريب وقابلت مفاخر ما تركت بروح من التعصب ذميم وبمحاكم التفتيش المشينة فقبرت حضاره بناها العرب وابدعوا بناءها في تسعة قرون قبروها في عقدين من الزمن .

وانه لمن المدهش حقاً ان هذه الحضارة تسربت الى اوروبا ومثلت دورها العظيم بالرغم من روح العداء التي قوبلت بها وبالرغم من الاضطهاد الذي ناصبتها اياه الكنيسة والامبراطورية المقدسة فبعثت في اوروبا روح تيقظ وسعي حثيث للتخلص من القيود التي رسف فيها الفكر الاوروبي عشرة قرون متواصلة . وتبع ذلك الثورة العظيمة على نظم القرون الوسطى وتقاليدها وشرائعها فكان الانقلاب الديني والتحرر القومي والحركة العلمية التي دفعت بالحضارة الاوروبية الى هذا المستوى الرفيع وهذا العلو الذي تتبوأه اليوم .

وانه لمن المبهج حقاً ان نتمكن بالرغم من هذه النية المبينة لطمس معالم الحضارة

العربية وهذا الجبروت الطاغي على روح الانصاف في دراسة التمدن الاسلامي اقول انه من السار للنفس ان نتمكن رغم كل هذا من ان نلمس في صميم حضارة اليوم اثر حضارة العرب وتراثهم العلمي .

لعل ابرز ما هو عربي في هذه الحضارة وابعده عن الشك هو الارقام العربية التي هي الف باء العلوم الرياضية والطبيعية. وانه لمن المتعذر على اوروبا ان تسطر هذه الصفحات المشرقة في العلم لو بقيت تستعمل الارقام الرومانية وتقتصر في ابحاثها الرياضية على هندسة اليونان. فلولا علما الجبر والمثلثات اللذين انشأهما العرب انشاء واستعملوا فيهما الارقام العربية لما استطاع غليلو ونيوتن وكبلر وغيرهم من بناة الحضارة الحديثة ان يقوموا بعملهم ، وما كانت النهضة الاوروبية لتعطى اكلها لو لم تترك الارقام الرومانية القبيحة وتأخذ عن العرب ارقامهم .

وهذه الارقام التي نستعين بها على الاعمال الحسابية تعرف عندنا باسم الارقام الهندية وهذا ما حدا ببعض علماء اوروبا ان ينسبها الى الهند . ولكن الثابت من الدراسات المطولة البعيدة عن الهوى ان هذه الارقام استعملت في البلاد العربية في مؤلفات علماء بغداد كالخوارزمي في القرن التاسع الميلادي، وانه لم يعثر على استعمال كامل لهذه الارقام في بلاد الهند قبل هذا التاريخ. فالمرجح انها من نتاج الحضارة العربية وحدها بقطع النظر عن القطر الذي نشأت فيه سواء كان العراق او فارس او الهند او غيرها ، فجميع هذه الاقطار جزء لا يتجزأ من الامبراطورية الاسلامية لا سيما من الناحية الثقافية .

وفي القرن الحادي عشر للميلاد اخذ تجار جنوا والبندقية يستعملون هذه الارقام في حساباتهم التجارية الا ان استعمال هذه الارقام التي تعرف في اوروبا باسم الارقام العربية لم يعم قبل القرن الثالث عشر .

وكان لهذه الارقام في البلاد الاسلامية صورتان فاهل الشرق يكتبونها كما نكتبها نحن اليوم، اما اهل الغرب في شمال افريقيا والاندلس فكانوا يكتبونها على صورتها المعروفة لدى الاوروبيين تماماً. وقد اخذها هؤلاء عن العرب دون تبديل او تغيير وفي اول عهدهم بها كانوا يسمونها باسمائها العربية .

وهنالك اثر آخر للعرب نلمسه في حضارة اليوم وان يكن ليس بظاهر ظهور الارقام العربية وهذا الاثر هو اس الحضارة الحديثة وميسمها الذي توسم به وتتميز عن غيرها من الحضارات التي سبقتها، ولذا تراها جد حريصة على ان تستأثر بفضله وتنكر على غيرها ان تمت اليه بصلة . واي قوي لا يحرص على ان يقصر الفضل على نفسه ؟ هذا الاثر العظيم هو الاسلوب العلمي او طريقة البحث التجريبية وهو ما تتغنى به هذه الحضارة وتفاخر به ايما تفاخر . والعلم الحديث مبني على اساس متين من التجربة وعلى المبدأ الحسي القائل بعدم الاخذ بشيء الا اذا ثبتت صحته بالتجربة الملموسة وان لا شيء معصوم عن الشك او الخطأ . فاشد القوانين رسوخاً قد تكون عرضة للانقلاب اذا قامت الادلة على بطلانه وثبت بالتجربة ما يناقضه او يحط من قدره. وتاريخ العلم الحديث حافل بهذه الانقلابات في القوانين والنظريات فكلما تجمعت ظواهر طبيعية لدى الانسان رجع يعيد النظر في فلسفة الطبيعة وقوانينها العامة .

هذه الروح العلمية التجريبية كانت بارزة في ابحاث علماء العرب ومفكريهم فكانوا يقبلون على التجربة لتحقيق مذاهبهم العلمية ويسرفون في التدقيق في مظاهر الطبيعة من حيوانها ونباتها وجمادها للتعمق في درسها . وكان للتحكيم العقلي لديهم المقام الاول في تفهمهم لاسرار الحياة والوجود ولا غرابة في ذلك فدينهم للعقل فيه مكان رفيع . وحضارة العرب كانت عملية وبذلك تميزوا عن الاغريق

فاولئك لم يعمدوا للتجربة واقتصروا على المنطق ولم ينتفعوا من علمهم انتفاعاً يذكر في صناعاتهم واحوالهم . فهؤلاء الاغريق ابدعوا في سعة التخيل ووضعوا اسس التفكير الصحيح، اما العرب فزادوا على ذلك استعمال هذه النظريات العلمية لتحسين احوال معيشتهم وهذا امر يقرهم عليه حتى اخصامهم . فدراسة الفلسفة والفقه لدى العرب كان لها غاية عملية مباشرة والفلك والكيمياء والرياضة والطبيعة لم تكن تدرس بقصد رياضة الفكر والعقل فحسب شأن الاغريق بل على سبيل استخدامها في في معرفة الاوقات وتدقيق المواقع الجغرافية وترقية الصناعة، فكانت ارصادهم غاية في الدقة ومقاييسهم كاملة والاتهم مثيرة للاعجاب في دقة تركيبها وجلال فائدتها .

فهذا الاسلوب العلمي البحت وهذا التبويب الصحيح للمعارف الانسانية كان اجل ما ورثت اوروبا عن العرب . ويذكر ان وفداً من نصارى الاندلس شكا لاحد بابوات روما تهافت الشباب المسيحيين في اسبانيا على التزاوج من العربيات والاخذ باسباب الحضارة العربية والانكباب على التشبه بالعرب فعلق البابا على ذلك بقوله — « حقاً اننا لفي حاجة لعلوم هؤلاء الكفار وصناعاتهم بقدر ما هم في حاجة الى ايماننا » ومن الغرابة ان يصح عكس هذا في يومنا هذا .

وفي اللغات الاوروبية من الكلمات العربية ما يدل على ان اسماء العلوم والاصطلاحات الفنية والعروض التجارية والصناعات كان اغلبها عربياً رغم نفور وروبا من لغة القرآن .

اما العمارة العربية فكانت خير مرآة للذوق العربي السليم وروح العرب العملية وقد اثر فن البناء العربي البديع في اوروبا فصقل من خشونة الفن القوطي وكانت جرسيات الكنائس وقببها واروقتها واقواسها واعظم ابنية جنوب اوروبا وشمالها تقليداً للفن العربي .

هنالك مظهر آخر في حضارة اليوم يعكس لنا فضل العرب هو ما احب ان اسميه بالاصلاح الاجتماعي او توفير السعادة لعامة الشعب ، فقد قال احد مؤرخي الحضارة العربية في الاندلس M. Scott وهو اميركي ان السعادة التي كان يتمتع بها سكان الاندلس لم يحلم بها شعب من الشعوب المتقدمة والمتأخرة، فالملاجئ والجامعات والبساتين العامة والمكاتب وتوزيع الثروة والصلة بين الحكام وطبقة الشعب كل ذلك بلغ من الكمال ما لم يبلغه في عصرنا الحاضر . واذا كانت السعادة هي الغاية من هذه الحياة فان الامم المتمدنة في هذا اليوم هم دون سكان الاندلس الاسبقين في هذا المضمار بمراحل .

ومما ساعد على توفير اسباب السعادة والرفاهية للمجتمع الاسلامي تشجيع ملوك العرب وامراؤهم حركة العلم والادب واشتراكهم الفعلي في هذه الحركة . ففي بغداد قاد العباسيون حركة النقل عن الحضارات القديمة واشرفوا عليها وعملوا على انجاحها، وفي مصر شجع الفاطميون والايوبيون العلم والادب وقربوا العلماء والادباء من البلاط وكذلك الاتابكة في الشام وحكام الاندلس والدول والامارات المختلفة التي ظهرت في غضون الحكم الاسلامي العربي . وكان لهذا التشجيع اثره المحمود في سرعة انتشار الحضارة العربية . ولقد قلد امراء اوروبا هذا التشجيع في اوائل النهضة الاوروبية فكان لامراء ايطاليا والمانيا اليد الطولى في مؤازرة العلماء ومنع اذى الكنيسة عنهم .

وكان في كل جامع من جوامع الاسلام مكان للرصد ومدرسة ومكتبة وتكية وهذا غاية ما تصبو اليه النفس من الجمع بين فضل الدين ونفع العلم وتسخيرهما لسعادة الانسان في دار الدنيا والآخرة . ولقد رأينا شبه ذلك يظهر في اوروبا فكانت جامعاتها تحاكي جامعات الاندلس اذ تطورت هذه الجامعات من كنائس

واصبحت مركز الثقافة الاوروبية التي ضمنت لها هذا النجاح العظيم .

ومن مظاهر اهتمام حكام العرب بنشر العلم واستخدامه في توفير راحة الشعب هذا الاعتناء العظيم بالطب وهذا التسابق الشريف في الاكثار من المستشفيات والتفنن في تكميلها وتعميم الاستفادة منها . وقد قال احد مؤرخي الطب انه كان في القاهرة على عهد الحاكم بامره من المستشفيات ما ينوف على مستشفياتها الحالية في العدد وجمال البناء والسعة وحسن تعهد المرضى .

واليكم وصف ابن جبير الرحالة الاندلسي لمستشفى القاهرة اذ قال — : ومن مفاخر هذا السلطان « صلاح الدين » البيمارستان الذي بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعاً ابرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتساباً وعين له قيماً من اهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الاشربة واقامتها على اختلاف انواعها . ووضعت في مقاصير ذلك القصر اسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسي . وبين يدي ذلك القيم خدم يتكلفون تفقد احوال المرضى بكرة وعشية فيقابلون من الاغذية والاشربة ما يليق بهم . وبازاء هذا الموضع مقتطع للنساء المرضى ولهن ما يكفيهن . ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين ولهم ايضاً من يتفقد في كل يوم احوالهم ويقابلها بما يصلح لها . والسلطان يتطلع هذه الاحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد .

اما عن بيمارستان بغداد فاليكم ما يقوله ابن جبير نفسه : — وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة وتتفقده الاطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون احوال المرضى به ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجون اليه وبين ايديهم قوم يتناولون طبخ الادوية

والاغذية . وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل اليه من دجلة .

ويستطرد ابن جبير في حديثه عن بغداد فيقول — والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها واعظمها واشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك وجددت سنة ٥٠٤ . ولهذه المدارس اوقاف عظيمة وعقارات محبسة ، تتصير الى الفقهاء المدرسين ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم ولهذه البلاد في امر هذه المدارس والمارستان شرف عظيم وفخر مخلد ١٠ هـ .

والى جانب هذه المستشفيات كانت تقوم الصيدليات ،وعلم الصيدلة علم عربي صرف ولا يزال عربياً فالحضارة الحديثة كما تقول الانسكلو بيديا البريطانية لم تأت بجديد فيه الا ما اكتشفته من عقاقير جديدة اما الفكرة والنظام فعربيان .

وهذا ما تلمسه في حضارة اليوم بل هذا اقصى ما تفخر به حضارة اليوم ولعمري عن اي شيء تستطيع عواصم اوروبا ان تحدثنا بفخر غير جامعاتها ومكاتبها ومستشفياتها العامة ومعاهد البحث والتنقيب فيها . وما عدا ذلك فقشور زائفة وبهارج براقة ضررها اكثر من نفعها .

اما التجارة العربية التي بلغت اقاصي المعمور وكانت على نظام وتنسيق عجيب فليس اشبه بها غير تجارة العالم اليوم . ولعل من المفيد ان نثبت هنا ان كثيراً من النظم التجارية العتيدة قد نشأ في زمن ازدهار الحضارة العربية فان سعة الامبراطورية الاسلامية وتمتعها بالاستقرار واستتباب الامن فيها ، هيأ للتجارة اوفر حظ للانتشار ومكن لها اسباب الازدهار والتوسع فربطت اجزاء العالم المتباعدة بعضها ببعض

وكانت تجارة العرب تسير من اواسط الصين الى شمالي اوروبا ومن جزر الهند وشرقي افريقيا الى اقصى الغرب . هذه التجارة الواسعة اوجدت طرقاً منظمة للمواصلات. ولقد نشأت المدن الايطالية وازدهرت كما نشأت المدن الجرمانية وغنيت بفضل هذه التجارة الواسعة . واخذ الاوروبيون يتصلون بالشرق عن طريق هذه التجارة . ولما سدت ابوابها في وجوههم دفعهم طمعهم بغنمها للكشف عن طرق اخرى . ومن هنا كانت حركة الاكتشاف الجغرافي وما لها من اثر في نهضة اوروبا . هذه التجارة جعلت النقد العربي شائع التداول فوجد في سواحل النرويج وشمال الروسيا. وهذه التجارة اوجدت نظام الجمارك والتعريفة الجمركية. واسمها الافرنجي (Tariff) يدل على اصلها العربي ونظام المصارف والحوالات المالية نشأ بفضل هذه التجارة المترامية الاطراف . فقد كان التاجر في الاندلس مثلا يعتمد تاجراً في مصر يدفع عنه ثمن البضاعة التي يشتريها مقابل تعهد يعطيه له بدفع المبلغ عيناً او نقداً ولا شك ان بعض كبار التجار انحصر عملهم في القيام بمثل هذه الاعمال التي هي نواة الصيرفة .

مما تقدم نرى ان للعرب اثاراً في حضارة اليوم تقوم في اسسها وتمثل اخص صفاتها وهي آثار لم يغير منها الزمن الا بقدر ما غير في قصور الاندلس ومساجدها عندما حولت الى كنائس .

محمد عبد السلام البرغوثي

السلاح ، العدة ، التسلح (١)

في الحروب الصليبية

ان تاريخ الصليبيين لا تتم دراسته ما لم يتناول ولو بصورة مختصرة بحثاً في وصف السلاح الذي كان مستعملا في ذلك العصر. وسيتناول بحثنا في هذه المقالة النقاط الآتية :

١ الات الحصار : ان اعمال الحصار تكون قسما مهما في الحروب الصليبية فلذلك يجدر البدء بوصف الاتها. كان معظم فن الهندسة عند الصليبيين تحسين الاساليب البزنطية. وكان اشد سلاح الهجوم فتكا الآلات لرمي الحجارة الضخمة على الاسوار تعرف بالمنجنيق، منها قاذفة الحجارة (Petrariæ or stone-caster) والمنغونل (Mangonel) وتريبوشه (Tribuchet) وهو اشدهما وطأة. كان الصليبيون في بدء اعمالهم الحصارية الاولى يستعملون المنجنيق والمنغونل، كما حدث ذلك في حصار نيقية سنة ١٠٩٧. ولم يك اذذاك التمرن على استعمالها استعمالا مفيداً قد انتشر والدليل على ذلك ان الصليبيين احتاجوا اثناء حصار صور سنة ١١٢٤ الى مساعدة مهندس ارمني احضروه من انطاكية لهذا الغرض. ويرجع الفضل في شهرة كثير من القواد الى مهارتهم في بناء هذه الالات الضخمة وكيفية استعمالها حتى ان الملوك انفسهم لم يروا اية غضاضة في بذلهم همة خاصة لهذا الغرض. وفي اثناء حصار عكا كان لدى فيليب اوغوست منجنيق شهير يدعى « جار السوء » خربه المسلمون بمنجنيق اخر يدعى «قريب السوء». وكان لدى رشارد ايضا منجنيق من هذا النوع تقذف ليل نهار كمية من الحجارة الصوانية الحادة اتى بها لهذا الغرض من مسينا (صقليا). وكانت هذه الحجارة الصوانية كثيرة جدا حتى ان احدها — وقد ارسل الى صلاح الدين ليراه — على ما يقال قتل ١٢ رجلا دفعة واحدة. ومما يذكر في هذه المناسبة خروج رشارد من سرير مرضه ليشرف على استعمال هذه الالات. وعندما تصبح اسوار

---

(١) عن الانكليزية بتصرف وتوسع

احدى القلاع متزعزعة بتأثير هذه الالات يقترب المحاصرون من الاسوار بحماية سلحفاة (testudo) او جنة تدعى احيانا خنزيرة تصنع من القضبان المشبكة وتكسى بالجلود، وتحت حماية هذه الجنة يملأون الخندق بالحجارة والتراب وبهذه الصورة يصلون الى الاسوار. وهذه السلحفاة كانت تستعمل غالبا لحماية الرجال الذين يحضرون الكبش. وهو عبارة عن عمود ثقيل رأسه رأس كبش معلق بحبال تجري على بكر معلقة بسقف الدبابة وورائها، وهم يستعملونه لهدم الاسوار كما فعل بوهمند في دورازو. وفي بعض الحالات كان المحاصرون — بحماية السلحفاة — يقوضون الاسوار برفع الاحجار المتداعية وكان من يقوم باعمال كهذه يشجع بوعده بمكافأة عظيمة. وكان ريمون كونت ده طولوز يقدم ديناراً لكل من يلقي ثلاثة احجار في خندق القدس، ورشارد دينارين لكل من يرفع حجرا من اسوار عكا. واذا كان الدفاع مجيدا كان المحاصرون ينقبون الاسوار ويسندونها موقتا بروافد (اباس) خشبية كانت توقد بعد نقبهم مقدارا كافياً، وبهذه الطريقة كانت تنشأ ثغرة في السور.

ومنتهى ما بلغه الفن الحربي في الات الهجوم في القرون الوسطى هو: القلعة المحاصرة (Belfry) وهذه عبارة عن برج متحرك مبني من خشب ذي ارتفاع كاف للاشراف على اسوار المدينة المحاصرة. وكانت تبنى من عدة طبقات لكل طبقة اسم فني خاص. وكانت قلعة غودفري عندما استولى على القدس مؤلفة من ثلاث طبقات وتلك التي استعملها اموري الاول في حصار دمياط من ٧ طبقات، وكانت هذه القلعة تسير على عجل يدفعها الناس احيانا من الداخل واخرى من الخارج على مداحل. ويغلب وجود كبش في احدى الطبقات ويوجد في طبقة اخرى اعلى منها جسور تلقي على السور، وفي الطبقة العليا يوجد النبالون والمجانيق والات اخرى قاذفة. وكان دأب المحاصرين الحيلولة دون تقرب هذه الالة من الاسوار بوضعهم عمدانا مسننة الرؤوس

في جدران الاسوار . واذا فشلت هذه الوسيلة التجأوا كآخر ما في جعبتهم اما الى صب النيران اليونانية المميتة على العدو واما الى حرق هذه القلاع المريعة باطلاق النبال المشتعلة عليها . وكم ازعجت مثل هذه النيران بلدوين عند حصاره لارسوف . وعند حصار الصليبيين لدمياط سنة ١٢١٩ هدد المسلمون قلعة الحصار الصليبيـــة العائمـــة بخمس مجـــانيق (مانغونل) اوبالات شبيهة بها من على الاسوار . ولحماية هذه الالة من تأثير نار واحجار العدو كانوا يغطونها بجلود منقوعة بالخل وبشبك من الحبال او باكياس محشوة .

ومع ان هذه المنشآت الضخمة كان بناؤها صعباً وغاليا لم تـكـن ولا بصورة الات دائمة . ويظهر انها لم تبن الا عند الحاجة الماسة ومن ايةمادة وقعوا عليها . وقد شذ عن ذلك قلعة رشارد المسماة ب (Matte Griffin) والتي صنعها في صقليا وجلبها معه لحصار عكا .

العدة : ومن الآلات الحربية ننتقل الان الى عدة الجندي نفسه ففي مدة الحملات الصليبية ونصف القرن الذي تلاها تقدم السلاح تقدما لا مثيل له في اي عصر من عصور التاريخ . فانتقل من الزرد broigne وهو درع فضفاض من حلقات فولاذية او من صفائح حديدية متلاصقة الى (الدرع الكامل) فالى درع القرن الرابع عشر ذي الصفائح . وفي الاصل كان المحارب التوتوني يسير الى المعركة في لباس الزرد . وفي زمن الحملة الصليبية الأولى يمكننا ان نتصور عتاد اوربا الغربية من الصور الموجودة على مطرزات « بايو » Bayeux ومن اغاني رولان . وفي هذا العصر يظهر ان الدرع كانت تستعمل إما من سلاسل متصلة او صفائح مخيطة على جلود او ملحومة بدقة بعضها ببعض . واذا كان الثوب مصنوعا من صفائح يكون في الغالب طويلا وبلا اكمام ؛ واذا كان من سلاسل لبس الجسم تماما وغطى الذراعين غالبا في حين ان السراويل القصيرة المصفحة كانت تغطي الفخذين . وفي حالات نادرة يظهر ان الفارس النورماني كان يلبس احذية حديدية وطاقات منفصلة

عن باقي اللباس . وبهذا الزي كان يمثل وليم الاول على منسوجات بايو(١) Bayeux وبعد الحملة الصليبية مباشرة وقع تغيير لم يصبح عاما الا بعد قرن تقريباً وهذا التغيير اشتمل على ادخال الدرع الكامل (Hauberk) الذي كان مؤلفا من قسمين احدهما رداء من زرد منطبق يغطي الجسم كله الى الركبتين ومعه رداء سفلي يحمي الساقين ويصل في ارتفاعه الى الخاصرة. وهذا الدرع الكامل العظيم لم يخط ابدا على بطانة بل كان يركب من حلقات متداخلة فقط وكان مفتوحا من الوراء ليسهل اعمال الفروسية . وفي اكثر الحالات كان الدرع الكامل متصلا بقبعة ذات حلقات لتحمي الرقبة والراس. وكان جميع العتاد متوجا بخوذة مخروطية مروسة ومربوطة بباقي السلاسل، وفي القرن الثاني عشر ابتدأت تحل محل هذه الخوذة المخروطية الصغيرة — التي كانت تظهر في كل محل على منسوجات بايو — خوذة ذات شكل اسطواني ومقاييس اوسع تغطي جميع الرأس والوجه . وتترك عندما يكون غطاء الوجه منسدلا فتحة او فتحتين للنظر والتنفس . ولا يمكن في حالة لباس خوذة كهذه تمييز الصديق او القائد ولذلك فلا غرابة من منع بلدوين الدخول الى ارسوف وان يمثل وليم اورنج في الانشودة المتأخرة يمنعه حارسه وزوجه من الدخول الى القلعة حتى عرى راسه . ويمكننا عند انتهاء الحروب الصليبية ان نلاحظ ملاحظة طفيفة بدء ظهور الدروع ذات الصفائح وذلك عندما تبدلت الحلقات بقطع معدنية كبيرة وبالتدريج حل محل هذين اللباسين البسيطين عدد من القطع المتفككة لكل قطعة منها استعمال خاص واسم خاص . لكن هذا التطور لا يشمل العصر الذي نحن بصدده .

الترس : ان عتاد المحارب القروسطي الدفاعي قد اصبح كاملا بترسه

---

(١) مدينة في شمالي فرنسا مشهورة بكاتدرائيتها وفيها هذه المطرزة التاريخية التي تبلغ مئتين واحدى وثلاثين قدما. ويمثل عليها اعمال وليم الفاتح ودخوله الى انكلترا.

والترس منذ اقدم الايام كان يعمل من خشب الزيزفون . وفي القرن الثاني عشر يظهر ان احسن التروس كانت تعمل من خشب الدردار . ويندر ان تكون من حديد، والترس القروسطي كان على الغالب بشكل طيارة كما هو واضح في مطرزات بايو ولكنه يكون احياناً مستطيلا او مستديرا او مغطى بالجلد ويغلب ان يكون في وسطه بقعة محدودبة تتشعب منه اشرطة معدنية . وعندما لا يستعمل الترس يحمل على الظهر ولكنه اثناء المبارزة الفردية وعندما لا تستعمل الحربة كان يعلق حول العنق الى الامام لحماية اضافية .

وكانت اكثر الالات الهجومية استعمالا : السيف والحربة والبلطة .

السيف : منذ القديم والشعراء يتغنون بلعب السيف ويلبسون هذا السلاح شيئاً من الشخصية البشرية كما ورد في شعر عنترة :

وسيفي كان في الهيجا طبيبا يداوي رأس من يشكو الصداعا

فنرى هنا كيف ان السيف لم يتبوأ شخصية بشرية فحسب بل شخصية ممتازة ايضاً. وكان لجميع سيوف الابطال المغامرين العظام اسماء كانها شيء اكثر من معدن غير حساس . فكما كان في الغرب سيف رولان يدعى « در نـدال » وشارلمان « مون جوا » وارثور « اكسكاليبر » كان سيف عمرو بن معدي كرب يدعى « الصمصامة » وعلي بن ابي طالب يدعى « ذا الفقار » وعنترة « الابتر » ان سيف القرون الوسطى كان احياناً طويلا واخرى قصيراً يتراوح ما بين الثلاث والاربع اقدام او القدمين والثلاث كما يقتضيه الحال.

الرمح : وكان الرمح يصنع عادة اما من خشب البلوط واما من خشب التفاح . ويذكر في اغاني رولان ان رمح شارلمان كان من البلوط . وكان يتخذ رأس الرمح اشكالا مختلفة ،فهو إما على مثال ورق الاشجار كما يظهر من منسوجات «بايو » واما مربع كما يوصف غالباً في القصائد القروسطية وكان يبلغ طول الرمح بما فيه الرأس والقبضة ما يقرب من الثماني اقدام. وعندما يستعمل عن اعلى اليد كنوع من القذائف تكون ساقه هيفاء ولهذا نراها

ممثلة في المطرزات كخيط واحد . واذا اريد بها الطعن وهي في متكئها كانت ساقها غليظة ولهذا يصفها شعراء القرون الوسطى بالغليظة والسميكة .

البلطة : والبلطة لعبت دوراً بسيطا في الحروب الصليبية مع انها كانت لا تزال في سنة ١٢٠٣ سلاح الانكليز الذين كانوا في الحرس الفارنجي في القسطنطينية، وبعدذلك بخمس سنين تقريباً يحدثناجو فينيل ان جنود شيخ الجبل (الحشاشين) كانت تستعملها .

القوس : وهنالك سلاح آخر مهم جدا وهو القوس باشكالها المتعددة وفي زمن الحملة الصليبية الاولى يظهر ان الغربيين استعملوا القوس القصيرة فقط. والقوس المتقاطعة (Arbalest) قديمة جداً وبهذا الاسم ذكر في اغاني رولان وقد استعمله جنود بوهمند في دورازو . وقد انتشر استعمال القوس المتقاطعة انتشاراً سريعاً بين الصليبيين وكانت مألوفة لدى رشارد الذي كان يحسن استعمالها ويقال انه هو الذي احيا استعمالها في الحروب الغربية وبسهم من سهام مثل هذه القوس قتل رشارد. ويظهر انه لم يكن هنـــاك اثر للقوس الانكليزية الطويلة في الدور الذي نحن بصدده .

الحيوانات : كان فارس القرون الوسطى يعنى بحيوانات ثلاثة ويحبها حباً متساويا وهي الصقر وكلب الصيد وفرسه . وكان الفارس يفاخر بمهارته في الصيد بالصقر كما ان هذا الفن لم يتأخر في مساعـــدتنا على تفسير اغاني القرون الوسطى وتاريخها . ففي مطرزات بايو نجد هارولد خارجا للصيد وعلى معصمه صقور في حين ان خدمه يرون حاملين الكلاب على ظهر الباخرة التي ستقل هذا السيد الساقسوني ليحضر بين يدي دوق نورمانديا. حتى في احرج الحالات لم يفارق فارس القرون الوسطى ولعه بهذا الصيد . ولا تنس ان روجر صاحب انطاكية خرج للصيد في صباح الموقعة الاخيرة الفاصلة . ومن ملوك القدس توفي فولك على اثر اصابته في الصيد كما ان بلدوين الاول اصابه الجرح الذي عجل موته وهو منهمك في رياضته المحبوبة حتى في حالة الموت

يظهر مثال القرون الوسطى الفارس المدجج بالسلاح ورجلاه على جثة كلب صيده المخلص الذي كان رفيق حياته.

الحصان: اما الحصان فقد كان صديق الفارس الوحيد. وقد ورد ما يؤيد ذلك في كثير من ميراث ادب الفروسية في الشرق والغرب. واذا كان لا يمكننا الان سرد الشيء الطريف والوافي مما ورد بهذا المعنى فلا بأس من ذكر اي شيء يتيسر ذكره الان، واليك ما ورد في الابيات المشهورة لبشر بن عوانه:

تبهنس اذ تقاعس عنه مهري   محاذرة فقلت عقرت مهرا
انل قدمي ظهر الارض اني   رأيت الارض اثبت منك ظهرا

فانظر كيف يخاطب الحصان مخاطبة الند للند.

وايضاً البيتان الآتيان يشيران الى ذلك بطريقة اوضح:

تفقدت من يبكي علي فلم اجد   سوى السيف والرمح الرديني باكيا
واشقر حنذيذ يجر عنانه   الى الماء لم يترك له الموت ساقيا

انظر الى هذا الشعور والتميز والوفاء العام. اقتضبه هذا الشاعر الذي يودع الحياة مجسمة في حصانه.

وقد كانت للخيل منزلة خاصة في الادب العربي وبخاصة في العصر الجاهلي الذي كان اقرب ما يكون الى الفروسية والخيل.

ويكاد يكون الحصان بطل اغنية القرون الوسطى. ومهما يكن من أمر فان حصان القرن الثاني عشر قليل الشبه بجواد اليوم.

ومن وقت لاخر نجد اشارات الى سرعة الحصان في اغاني رولان حيث يقال عن الخيل انها اسرع من عصفور الدوري او السنونو (الخطاف) وفي بعض حوادث تاريخ الصليبيين اشارة الى فريزة فرس بلدوين السريعة والى انقاذ بلدوين الثالث الشاب على مهرجون غومان سنة ١١٤٥.

وفي الاكثر كانت القوة تفضل في الخيل على الجمال والسرعة. ان حصان تورپين Turpin رئيس الاساقفة كان سريع الخطى لكن

سيقانه كانت صغيرة وثخينة وصدره عريضاً وخاصرتاه طويلتين . واذا اضفنا الى ذلك عرفه الاصفر واذنيه الصغيرتين ورأسه الاصهب عرفنا انه لم يكن يوجد فرس مثله . ويقال لنا في رواية اخرى انك لا تجد جواداً افضل من هذا الجواد ذي الرأس الصغير والعينين البراقتين والاذنين الصغيرتين والمنخرين الواسعين والبنية القوية . وهكذا ايضاً حصان رشارد الاسباني الذي وان كان له قوام رشيق واذنان مضمومتان وعنق طويل كان ايضاً ذا علو عظيم وصدر عريض وكفل متين وحوافر عريضة . ويباين ذلك الجواد المعتبر كمثل اعلى عند فرسان الغرب الحصان القوي الذي قدمه المسلمون الى « هون اوف بوردو » لحربه مع غليفور والذي له اوصاف ومزايا خاصة يمكن استخلاصها من ثنايا الادب العربي لكن الحصان العربي بصورة عامة يمتاز بضموره وملامحه الدقيقة الجذابة .

ومن عتاد المهندس والفارس يجب ان ننتقل برهة قليلة الى القلعة التي كانت في نفس الوقت متراس الصليبيين ضد العدو ووطنه . ان تحصين الحواضر والمدن كان يعتبر اقل اهمية من تلك الحصون والقلاع المعتزلة التي كانت تحمي المدن . وفي الحقيقة ان اسلوب فن حرب ذلك العصر لم يعن جيداً بالدفاع عن سلسلة التحصينات الواسعة . نعم كانت اسوار المدن المهمة والموانئ العظيمة قد عني بها عناية خاصة وعلى الاخص في آخر ادوار الحرب الصليبية لكننا نجد اهم اثار اعمال الافرنج قائمة في القلاع العظيمة ، كقلعة الكرك او قلعة حصن الاكراد ومرقب . ان عناية الملوك والجمعيات الحربية ملأت الحدود الصليبية بقلاع قوية عديدة تبدأ بالكرك والشوبك من الجنوب الشرقي وداروم وتل الصافية وابلين Blanche garde من الجنوب الى شقيف ارنون Beaufort و « حنين » Chateauneuf وصفد وقصر عنتره Chastellet وكوكب الهواء Belvoir التي كانت تحمي لبنان، الى حصن الاكراد Krak des Chevaliers الشهير ومرقب وطرطوزة وغيرها

في منطقة طرابلس .

ان قلاع الفرنج في فلسطين تتبع اسلوبين رئيسيين كان احدهما يحتذي مثال القلاع الفرنسية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في حين ان الثاني اخذ كثيراً عن البزنطيين والعرب. ومن النوع الاول قلاع الاسبتالية وعلى الاخص قلعة حصن الاكراد ومرقب ومن النوع الثاني كانت ابنية الهيكليين مثل صفد وطرطوزه حتى في النوع الاول كانت هناك بعض مميزات شرقية كالمنطقة المضاعفة التي اخذت عن البزنطيين والابنية الشديدة الضخامة التي تكيفت خصوصاً لتدفع غائلة الزلازل ؛ وكان لموقع مرقب عظمة وجمال فائقان وهي تطل على البحر المتوسط، ومن مركزها القائم على حافة ناتئة من الجبال يستحيل الاستيلاء عليها من كل الجهات الا من جهة واحدة . وقلعة حصن الاكراد لا تزال تحفظ تقاطيعها سليمة كما كانت عليه عندما غادرها الاسبتالية في سنة ١٢٧١ على ان الصور يمكنها ان تعطينا فكرة اكثر كمالا عن جلالها مما يمكن ان يعطيه الوصف القصير .

كان كثير من المدن المحصنة في سوريا محاطا باسوار مزدوجة والمسافة التي بين السورين تخصص على الاكثر للجنائن . وكانت تقام على اعلى بقعة قلعة هي غاية في القوة يلتجيء اليها السكان اذا كان الدفاع عن المدينة الاصلية قد فشل. وعلى العموم كان يتخلل الاسوار ابراج عديدة ومن هذه الابراج كانت تحصينات انطاكية وهي تفتخر بانها تملك مالا يقل عن ٤٥٠ برجا كان علو كل منها ٨٠ قدما. ولحماية جميع هذه المدن والقلاع وضعت قوانين القدس نظاما متقنا للتشكيلات الحربية فكانت كل اقطاعية وكل مدينة او قلعة مجبورة ان تقدم عدداً من الفرسان وعدداً من الرجال المسلحين للحرب. وكان على لوردات الجليل وصيدا ان تجهز ١٠٠ فارس اذا دعت الحاجة ومن اقطاعيات صغيرة كهذه نظير « تورون ومارون » كان يطلب من الواحدة منهما ١٥ فارساً والاخرى ٣ فرسان . ومن بين الحواضر

المدن نجد ان القدس كان مقدراً عليها اربعون فارساً وعكا ثمانون في حين ان مكاناً صغيراً كداروم كان عليه ان يقدم فارسين فقط . وعلاوة على ذلك كان عليها ان تقدم عدداً محدوداً من الرجال المسلحين يتراوح بين الخمسماية التي تقدمها عكا والقدس والخمسين التي تقدمها حيفا وقيسارية ، ولم يعف حتى اعلى المقامات الدينية والجمعيات الاكليركية بل كان على كل منها ان يقدم نصيبه المحدود. والى هذه القوات يجب ان نضيف جيوش الجمعيات الدينية والتوركوبول والمرتزقة(ذات المعاش الاميري) والفرسان الاروبيين التي كانت تحضر في كل ربيع وخريف لتحارب لاجل المسيح والقبر المقدس ومع كل هذا اذا كنا نصدق وليم الصوري كان اكبر جيش استعرض في فلسطين منذ ايام غودفري لا يزيد عن ٢٠،٠٠٠ فقط . واذا كان الصليبيون يمثلون من جهات عديدة عصراً في التقدم الحربي فهم لا يقلون شأناً في التاريخ البحري .

العدة البحرية : وفي الحملة الصليبية الاولى كانت الجمهوريات الايطالية هي التي جهزت الاسطول وفي اوائل ايام المملكة بصورة خاصة قدم بحارة البندقية وبيزا وجنوه خدمات قيمة . ومع ذلك فملوك اللاتين انشأوا خطوطاً بحرية خاصة بهم واقاموا ترسانات في كل من صور وعكا . وقد يكونون مع ذلك قد ظلوا يعتمدون على اساطيل الجمهوريات الايطالية واساطيل الحجاج الشماليين امثال « سيفورد » او على اية مساعدة تقع ايديهم عليها. وعلى كل حال لا نجد ذكراً لمركز اميرال في تاريخ المملكة القبرصية حتى اواخر القرن الثالث . ومع هذا نجد في ١١٥٣ جرار صاحب صيدا يقود اسطولا ملكياً في عسقلان عندما كان لديه ١٥ مركباً سريعاً وعندما هدد صلاح الدين بيروت ١١٨٢ استطاع بلدوين ان يجمع في مدة سبعة ايام ٣٣ سفينة

حربية وكان لدى الجمعيتين الدينيتين الكبيرتين سفن خاصة بهما. وعلاوة على اسطول البحر المتوسط كانت — على الاقل لمدة قصيرة — قوة بحرية في البحر الاحمر وقد استولى الفرنج للمرة الاولى على العقبة (Elim) من ١١١٦ — ١١٧٠ ثم من ١١٨٢ — ١١٨٣ وفي المرة الثانية جهز رنولد ده شاتيون خمس سفن حربية وعدداً كبيراً من المراكب الصغيرة اجتاح بها شواطىء الحجاز واذ لم يجد اسطولا اسلامياً يقاومه جرؤ على تهديد الحجيج في طريقهم الى مكة لكن هذا النجاح دام قصيراً اذ جهز صلاح الدين اسطولا في الاشهر الاولى من ١١٨٣ هدم به قوى رنولد البحرية تهديماً تاماً .

ان اهم انواع السفن التي استعملت للحرب كانت السفن الحربية Galleys وهذه المراكب كان طولها يتراوح بين ١٠٠ و ١٢٠ قدماً ولها من العرض ما يقرب من الست اقدام . وفيها صف واحد فقط من المجاذيف ومائة من البحارة . وكان غير هذه السفن الحربية سفن اخرى اصغر منها تستعمل للكشف تدعى السهام (Saeties)والحمام(Colombels)والجمال(Gamells) وكانت السفن التجارية والنقلية تعرف باسماء مختلفة منها النقالة Dromonds والبصات Busses ، Salandres ونقالة الخيل Huissiers . والنقالة Dromonds كانت اكبرها جميعاً وكانت تستعمل اما لنقل الحجاج — كالسفن الكبيرة التي تحطمت في مصر سنة ١١٨٢ وكان على ظهرها ١٥٠٠ شخصاً — او لنقل البضائع وكان اثمن غنم حصل عليه ريشارد بعد مغادرته قبرص ١١٩١ نقالة اسلامية. اما اثناء الحرب فكانت النقالة تستعمل لنقل السلاح والطعام والآلات الحربية. اما البصات Busses و Salandres فهي سفن اصغر من النقالة وكانت (Huissiers) سفناً لنقل الخيل.

وتلك الحملة التي كانت تصحب اسطول مانول سنة ١١٦٩ ، كان عليها منشآت واسعة

مكشوفة في مؤخر السفينة لحمل الخيل مجهزة بمعابر لانزالها الى البر . ولم تكن هذه البواخر على انواعها سريعة وقلما كانت تجرأ على الابتعاد من البحر فاسرع رحلة من مرسيليـــا الى عكا كانت تتراوح بين ١٥ يوماً و ٢٠ واذا كانت الرحلة محاذية شواطىء ايطاليا الى مسيناومنها الى كريد وقبرص فسوريا كانت طويلة جداً. وقداخذاسطول رشارد في رحلته على الخط الثاني هذامن شمال اوربا الى مسينا ٦ اشهر تقريباً .مع ان حملة «سيفورد» القرصانية امتدت من ثلاث سنوات الى اربع سنوات. واما فيما يتعلق بجهاز السفينة فكان لسفن رشارد الرئيسية ٣ دفات و ١٣ مرساة و ٣٠ مجذافاً وقلعان و ٣ حبال من كل نوع . وزيادة على ذلك كانت تحمل زوجاً من كل شيء تحتاجـــه السفينة عدا الساري والقارب . وكانت تحمل هذه السفن اربعين حصـاناً كريماً مع جميع انواع الاسلحة وتقوم باحتياجات فرسان عديدين و ١٤ راجلا و ١٥ بحريا . وفوق كل هذا كـــانت تحمل مؤونة سنـــة لجميع هؤلاء الرجال والخيل .

من وصف البحتري لبركة المتوكل

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات اذا لاحت مغانيهـــا
تنصب فيها وفود المـــاء معجلة ... كالخيل خارجة من حبل مجريهـــا
كانمـــا الفضة البيضـــاء سائلة ... من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لهـــا حبكا ... مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها ... وريق الغيث احيانا يباكيهـــا
اذا النجوم تراءت في جوانبهـــا ... ليلا حسبت سماء ركبت فيهـــا

دار الكتب والمدرسة العمومية (١)

ليس وضع خطة لانشاء مكتبة في المدرسة من الهنات الهينات . اذ هي في الغالب حجرة من حجرات التدريس يجهزها اولو الامر بالمناضد والكراسي بدلا من القماطر الدراسية ، اما اللوح الاسود فيخصص للاعلانات اليومية والاسبوعية. وهنالك لوحان كبيران متنقلان خاصان بالنشرات تبين عليهما الخطط والصور والاخبار المتعلقة بالموضوعات المتداولة في الادب . اما الرفوف فتغطي جدران الحجرة الثلاثة ، واذا اضفت الى ما مر رف المجلات وقمطر المعلم وثماني منضدات يحيط بكل منها ست كراسي اصبح التجهيز او الاثاث كاملا . ومن الضروري وجود خزانتين للملفات ، الواحدة للاحتفاظ بمواضيع البحوث الشفوية ، والاخرى للالقاب والمؤلفين . ولا ندحة عن وجود طريقة او نظام لحفظ سجل لما يقرأه كل تلميذ . وترتب الكتب على الرفوف على حسب مضموناتها .
(القصص والمراجع) ويجب ان يكون نحو ثلثي الكتب من الكتب القصصية اللاذة .

واذا اريد بالمكتبة ان تنشئ في الطلاب عادة المطالعة ، فلا بد لها من الاحتواء على المقادير الكافية من الكتب بحيث يصبح في مقدور الطالب أن يكون بين يديه كتابان في الشهر على الاقل . ومن الضروري اعطاء التلامذة شيئاً من التعليمات الخاصة بترتيب محتويات المكتبة ، واستعمال البرامج او القوائم والموسوعات وما الى ذلك . ويمكن ان توضع الدروس المتعلقة بتاريخ الكتب وتطورها على كر السنين والاجيال ، وتاريخ الكتابة والطباعة في قالب مشروع يتطور بواسطة

---

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف .

اعمال التلامذة في المكتبة .

والطريقة المثلى لتربية عادة المطالعة هي ان تتوفر الكتب القصصية التي يكون تجليدها حسناً وتتناسب مع اختبار القراء الصغار . على ان الاختبار يختلف ، ولذا كان مما ترمي اليه المكتبة ان تشوق وترضي كل نوع من انواع الذكاء . ولا بد من ان تتباين الاذواق في المطالعة . فان هنالك من في مقدورهم هضم الكتب العميقة والتلذذ بها ، وهنالك من لا يمكن حملهم على مطالعة سوى طائفة مخصوصة من الكتب يقوون على هضمها وفهمها .

اما الولد القلق الذي من اشد بواعث غبطته ان يروض ترويضاً يدوياً او بدنياً فيمكن حمله على مطالعة الكتب الموضوعة في الرياضة البدنية واعمال الكشافة وقد تشبع رغائبه بمطالعة مجلة مثل مجلة « المضمار » المحتجبة او مجلة تكون معظم موضوعاتها دروساً في الطبيعة . واذا كان اشراف المعلم او ارشاده حاذقاً حفز التلميذ اهتمامه بالطيور الى الاقبال على كتب الحيوان وكتب الرحلات . وليس بخاف ان القراءة الاضافية في حجرة الدراسة هي من افضل الاساليب التي تحمل على الاهتمام بالمؤلفين . ومهما يكن من امر ، فان المكتبة تظهر جدارتها واستحقاقها اذا هي خلفت في المطالعين ذوقاً للمطالعة . اما طبيعة هذا الذوق سواء أكان متوسطاً ام من الطراز الاول، فتتوقف الى مدى بعيد على الاسس التي احرزها المطالع وعلى مقدرته الفردية . وصفوة القول فان الفوائد التي تقدمها المكتبة لا يأخذها إحصاء ، ويمكن انتقاء ما فيها من كتب تتلاءم وقوى الطلاب وتتناسب واذواقهم . وعلى الجملة ففي المقدور جعل المكتبة افضل واسطة لاغناء كل موضوع من موضوعات المنهاج الدراسي . اذ قد تحقق معلمو الجغرافية والتاريخ قيمة مطالعة الفصول والكتب التي تضاف الى الكتب المدرسية .

ومن فوائد دار الكتب انها تحل تلك المسئلة المحيرة وهي : « ماذا عسى ان اجد من مادة للدرس الشفوي » ان في خزانة الملفات المعنونة « بالشفويات » او مواد للدروس الشفوية يستطيع التلميذ ان ينتقي من مئة موضوع او يزيد لكل منها قائمة من الكتب والمجلات التي يرجع اليها في طلب المادة او المعلومات . والمعلم يرشده الى هذه الموضوعات اذا لم تكن قد اخرجت من خزانتها ووضعت على الرفوف ، على انه تتاح للتلامذة الفرص لمساعدة انفسهم بانفسهم كلما امكن ذلك. فان التلامذة قد تلقوا دروساً في كيفية استعمال المكتبة وفسرت لهم الترتيبات المتبعة في استقاء المعلومات من الموسوعات والمجلات والمعاجم، وما الى ذلك تفسيراً حسناً . وهم ، عدا الغبطة التي اشتقوها من مقدرتهم على تتميم ما طلب اليهم واخذوا النفس به ، يكسبون اختباراً قيما في استعمال كتب المصادر او المراجع ، فيكونون قد فقهوا ان للكتب منفعة وفائدة كما لها لذة وغبطة .

وغير خفي ان كل درس في الادب له تطبيقاته في الكتب المنتشرة على رفوف المكتبة . والدراسات الانشائية تصبح مغامرات لاذة للتلامذة عندما يعهد اليهم القيام بفروض او واجبات على نحو ما يأتي : — سندرس في هذا الشهر وصف الاشخاص البارزين . راقبوا في مطالعاتكم ما يتراءى لكم انه وصف جميل لأولئك الاشخاص . انسخوا في دفاتركم افضل شخصين تجدونهما . سنتناولهما بالتحليل والموازنة في حجرة الدراسة . ان لمعلم اللغة العربية اعظم الفرص لتحسين اذواق تلامذته والاقبال بها على المطالعة . والاتصال اليومي بالكتابات العظيمة له تأثير في عقول الصغار لا يحد .

هذا وان ادارة المكتبة تتوقف على الظروف الموجودة في كل مدرسة . فاذا كانت المدرسة لها نظام دوار او متعاقب ، او كانت قائمة في منطقة زاهرة او

منحطة ، او كان ثمة مكتبة عمومية مستعدة ان تتعاون ومدرسة المكتبة ، او كان لها من المعلمين من لهم القدح المعلى في ادب الاولاد — نعم اذا كان للمدرسة كل هذه العوامل اثرت على تنظيم مكتبة المدرسة تأثيراً خطيراً · بل اصبحت الجهود والتضحيات (في مكتبة المدرسة) تسير بخطى واسعات . وصارت تغني حياة الطفل بما تقدمه له من عطايا . وسواء أكان مخبئاً له في المستقبل ان يكون قائداً للرجال ام تابعاً لهم، كانت له عادة المطالعة التي تربت فيه من خير ما يقتني وانفس ما يملك .

المتحف الشعبي في القدس[١]

يشعر كل من في فلسطين، سواء كان ساكنافيها او زائراً بحاجتها الى متاحف يتيسر فيها درس احوال البلاد وتاريخها . نعم ان هنالك بعض المتاحف الخصوصية التابعة في الغالب للمعاهد الدينية، الا أنها لا تفي بالحاجة ولا يمكن ان تقوم مقام المتاحف العمومية . وحتى وقتنا هذا لا يوجد متحف في فلسطين يقدم لنا صورة اجمالية لتاريخ فلسطين ولحياة اهلها الحالية، وهذان كما لا يخفى اهم مميزات البلاد . ولا شك اننا نرى في متاحف المدن الكبرى في اوروبا واميركا من الآثار والعاديات الفلسطينية اكثر مما يمكننا ان نشاهده في فلسطين . ومع ان البحث والتنقيب قائمان على قدم وساق الا انه لسوء الحظ لا يمكن لسكان هذه البلاد ان يطلعوا على نتائج هذا البحث بعد ويشاهدوا ما اظهره من آثار الماضي · ولكن هذه الحالة المؤسفة قريبة الزوال لأن المتحف الاثري الفلسطيني الذي تبرع ببنائه المستر روكفلر ستفتح ابوابه قريباً للجمهور . ويحتوي هذا المتحف على الآثار والتحف التي

(١) الاستاذ ديمتري برامكي . (باذن مصلحة الاذاعة)

وجدت في فلسطين ويرسم لنا صورة ناطقة لتاريخ فلسطين من اقدم الازمنة الى ١٧٠٠ ميلادية، ولكن يجب ان لا نغفل تاريخ فلسطين منذ سنة ١٧٠٠ او ان نهمل درس اساليب عيشة اهلها في الوقت الحاضر التي تحتفظ بكثير من مميزات الحياة واساليبها في الازمنة القديمة وتلقي ضوءاً ساطعاً على ماضي الانسان في هذه البلاد الذي تكشف عنه وتجلوه لنا شيئاً فشيئاً عمليات الحفر والتنقيب . فان بعض صناع اليوم يستعملون ذات الوسائل والآلات التي كانت تستعمل قبل ٤٠٠٠ سنة. وان كثيراً من الادوات والاواني التي يصنعها ويستعملها قرويونا اليوم تطابق كل المطابقة ما يستخرجه الأثريون من المدن القديمة المندثرة في العصرين النحاسي والحجري. ومن اجل ذلك وجد من الضروري انشاء متحف شعبي يرى فيه الزائر مثالا للحياة في قرانا التي كما قدمنا ما زالت تسير في بعض نواحيها على نمط الحياة في عصور ما قبل التاريخ. ولكن نظراً لسهولة المواصلات ورخص المنسوجات والبضائع الاجنبية التي تغمر اسواقنا اخذت هذه الحياة بالتطور والتغير بسرعة زائدة . ولن يمضي طويل وقت حتى تفقد طابعها التقليدي القديم بالكلية . ولذلك تحتم العمل بدون تأخير لانشاء متحف شعبي . فان كثيراً من الصنائع والفنون الجميلة في فلسطين آخذة في الاضمحلال والتلاشي . ففلاحات اليوم مثلا قلما يعنون بالتطريز الانيق الذي كان يزين ثياب نساء الجيل الماضي والجرار الخزفية المزخرفة يستعاض عنها اليوم بصفائح الكاز والبنزين .

وفي فلسطين وسائل جمة لدراسة الاجناس البشرية المختلفة . فان سكانها يتألفون من شعوب كثيرة لكل منها اثره على مدنية اهلها ومعيشتهم . فالقدس مثلا اشبه بمتحف شعبي حي ناطق يمكن كل من سار في شوارعها ساعة من الزمن ان يسمع اربعين لغة ويشاهد اناساً بازيائهم المختلفة المتباينة من كافة اقطار المشرق ، ولا

تنفرد القدس وحدها بهذه الصفة دون سائر فلسطين الا انها ابرز في القدس منها في غيرها من المدن . والزائر يرتاح الى هذه الظاهرة وربما علقت في مخيلته اكثر من اي شيء آخر يشاهده في هذا القطر . وبما ان فلسطين بلاد جبلية صعبة المواصلات / فيما مضى / شديدة الاختلاف في المناخ ما بين غور ونجد وساحل وداخل نرى تبايناً كبيراً في ازياء سكان مقاطعاتها المختلفة وهندسة بيوتهم .

فالمادة اذن متوفرة الآن لتجهيز متحف شعبي . وهذا ما حدا ببعض محبي فلسطين والمعتنين بتاريخها الى القيام بمشروع انشاء مثل هذا المتحف . ففي سنة ١٩٢٠ اسس السر رونالد ستورس جمعية محبي القدس وجمعت هذه الجمعية بعض الادوات والآلات المعدنية والخشبية المستعملة الآن . وفي سنة ١٩٢٦ تأسست لجنة باشراف دائرة الآثار القديمة لشراء ازياء وادوات اخرى لانشاء متحف شعبي واقيمت عدة معارض للفنون والصنائع من آن الى آخر . والدافع للقيام بكل ذلك كان لا شك الشعور السائد بالضرورة الى انشاء متحف شعبي يحفظ من الضياع شيئاً من مظاهر الحياة الشعبية في فلسطين قبل ان تنقرض تمام الانقراض امام تيار المدنية الحديثة ومنتجاتها . فبعد البحث ظهر جلياً لمن يهمهم تحقيق فكرة انشاء المتحف انه لا يتم ذلك الا على ايدي مؤسسة خصوصية ولذا اجتمع بعض من يهمهم الامر وبعد المداولة قرروا انشاء المتحف . وفي سنة ١٩٣٥ تكونت لجنة برعاية فخامة المندوب السامي السر ارثر واكهوب لتنفيذ هذا المشروع وانتخبت المسز بار بورسكرتيرة شرف.

وقد حبذت حكومة فلسطين هذا المشروع وقدمت قلعة القدس داراً للمتحف بعد ان تتم دائرة الآثار القديمة الحفريات الجارية فيها الآن . واللجنة تأمل ان تحصل على مساعدة مادية في اقرب وقت ليس لشراء التحف فقط بل لمصاريف الادارة ايضاً . فقد قام اعضاء اللجنة باعباء العمل منفردين لحد الآن ولكن هذه الحالة لا يمكن ان تدوم.

وكانت اولى خطوات اللجنة حمل الحكومة على اعتبارها وريثة جمعية محبي القدس والمتحف الشعبي الوطني الذي تأسس باشراف دائرة الآثار القديمة ومعارض الحرف التي اقيمت سابقاً . فقد استولت على جميع الادوات والازياء التي كانت قد اشترتها سابقاً تلك المؤسسات. وقد اهدت المسز كروفوت مجموعة الاواني الفخارية التي جمعتها اثناء اقامتها في فلسطين . وقررت اللجنة بعد ذلك استعارة بعض التحف لتكون منها بالاضافة الى ما لديها معرضاً صغيراً يثير اهتمام الجمهور ، ولهذه الغاية استأجرت غرفتين في حي الدباغة قرب كنيسة القيامة . وجعلت منهما متحفاً صغيراً افتتحته في شهر شباط سنة ١٩٣٦. وعدا المئة والخمسين قطعة التي ورثتها من المؤسسات التي سبق ذكرها قد استطاعت اللجنة ان تستعير ١٥٠ قطعة اخرى وتمكنت بواسطة الاعانات التي وصلتها والتي بلغت ٢٠٠ ج ٠ ف ٠ من شراء بعض التحف من كافة انحاء فلسطين . وقد تأسست جمعية باسم جمعية المتحف الفلسطيني الشعبي جعلت قيمة الاشتراك فيها ٢٥٠ ملا سنوياً فقط لكي تعم الاهتمام بهذا المشروع وتجعل الاشتراك فيه ميسوراً لكل من اراد .

وحالة اللجنة المادية لا تسمح بتعيين مدير للمتحف ولكن رغم ذلك فأن المتحف مفتوح كل يوم ثلاثاء لمن يشاء زيارته يشرف عليه احد اعضاء اللجنة ويمكن زيارته ايضاً في غير هذا الوقت وذلك بالاتصال باحد اعضاء اللجنة الذي يقوم بالترتيبات اللازمة .

وهناك قائمة بالاشياء التي تود اللجنة شراءها فمن ادوات بيتية وآلات صناعية وتحف حربية وموسيقية وازياء وتحف دينية . فمن الازياء مثلا تود اللجنة ان تكون لديها مجموعة نموذجية من ثياب النساء في رام الله وبيت لحم والناصرة والمجدل وغزة واريحا والسلط وصفد والخليل وصفورية وازياء البدويات والدرزيات . ومن

ازياء الرجال ملابس البدو والدروز واهالي القرى . ويوجد الآن في المتحف شيء من هذه الازياء واللجنة جادة في الحصول على القسم الآخر .

والمتحف مكون الآن من غرفتين فيهما عدا الازياء السابق ذكرها مجموعة من الفخار وآلات الحراثة وسرر للاطفال وكثير من الاشياء الضرورية لدرس حياة الفلاح اليومية . ان هذه المجموعة صغيرة جداً بالنسبة الى ما تصبو اليه اللجنة ولكن تأمل مع الزمن ان تتوسع هذه المجموعة لتكون كاملة بقدر الامكان .

ان المتحف مفتوح لكل من يود زيارته والدخول مجاناً وتأمل اللجنة ان تنال تشجيع الجميع حتى تكلل مساعيها بالنجاح وتكون قد قامت بمهمة لها اهميتها العلمية والاجتماعية نحو فلسطين وفنونها الجميلة وصنائعها اليدوية التي اخذت بالتلاشي

« جامعة لوزان »

احتفالها بمرور اربعمئة عام على تأسيسها

تأسست اكاديمية لوزان سنة ١٥٣٧ لغاية دينية ، وقد اسسها جماعة الاصلاحيين الدينيين لتخريج قسس للكنيسة فاصبحت جامعة حديثة في اواخر القرن التاسع عشر وقد احتفلت مؤخراً بمرور اربعمئة عام على تأسيسها .

كان الاحتفال فائقاً حد الوصف حضره مندوبون من جميع جامعات العالم في اوروبا ، من المانيا وايطاليا ، وفرنسا وهولندا وبلجيكا ، وقد جاءوا جميعهم يقدمون احترامهم لمركز العلم العالي في سويسرا الديمقراطية . وجاءت وفود

جامعية من الشرق ايضاً فتمثل في الاحتفال كل من الجامعة المصريـة في القاهرة والجامعة اليابانية في طوكيو وغيرهما . ولم يصطبغ الاحتفال باي لون سياسي (ولم يكن القصد منه ترويج اي نوع من انواع الحكم) ولهذا فلم يمتنع احد من حضوره كما جرى في العام الماضي لجامعـة Heidelberg التي احتفلت بمرور ٣٥٠ سنة على تأسيسها ، او هـذه السنـة مع جامعة Goettingen التي احتفلت بمرور مئتي سنة على تأسيسها .

ان التعليم العالي في سويسرا يحترم من اجل العلم نفسه . وفي تلك البلاد الصغيرة سبع جامعات استطاعت الاحتفاظ بالمثل العليا للحرية الفكريـة ، وفتح ابوابها لجميع الشعوب دون النظر الى لونها ، او معتقدها او جنسها .

لقد دام الاحتفال اكثر من يومين وكان بهجاً متقناً . وقد سار في اليوم الاول اكثر من مئة استاذ من بلاد مختلفة ، بالبستهم العلمية الفاخرة التي احتفظوا بها منذ القرون الوسطى في شوارع الجامعة الى الكتدرائية ، ترافقهم جوقة موسيقية بالبسة القرن الثامن عشر ، وممثلو جمعيات الطلبة ، الذين يحتفظون في هذه المدينة حتى الآن بالبستهم شبه العسكرية ، وبقبعاتهم وسيوفهم ، ونعالهم العالية ، وزنانيرهم مما كان محبباً في الماضي لطلاب الالمان ، وحظر عليهم استعمالها الآن . وارتدى اساتذة الجامعة اردية سوداء ، وقبعات حريرية ما عدا عميد الجامعة ، الذي انفرد بلبس جبة من الحرير والفرو الابيض كضيوفه . وافتتح الحفلة بخطاب بليغ كان له اجمل الوقع .

وفي اليوم الثاني تجمع المندوبون في قاعة الجامعة ، وهي في قصر يعرف ب Palais De Rumine ، وهو هبة قدمها طالب روسي يقطن لوزان لبلدته وجامعته وهذا القصر عمره اربعون سنة ، ولكنه قصر تاريخي فهو المكان الذي امضيت فيه

معاهدة لوزان بين تركيا والحلفاء سنة ١٩٢٣ . وفي هذه القاعة ذاتها وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ عقدت اللجنة العليا للاجئين الالمان جلساتها فيه .

وفي هذه الجلسة منح خمسون استاذاً القاب شرف علمية ، والقيت الخطب من رؤساء الوفود الجامعية . وكانت هذه الاجتماعات تعقبها الولائم الفاخرة وزيارات الاماكن الأثرية الجميلة .

ويفتخر اهل هذا الكنتون الصغير بجامعتهم وهذا الافتخار مدار دهشة واعجاب . فان سكان هذا الكنتون يبلغون ٣٠٠ الف واكبر مدينة فيه هي لوزان ، فيدفعون ما يقرب من نصف مليون جنيه للتعليم . يخصص من هذا المبلغ خمسون الف جنيه للجامعة . ويتمسك جميع السكان القرويين منهم والمدنيين بجامعتهم هذه ويعتبرونها المعهد الذي يجمع بينهم ويحفظ ثقافتهم وتقاليدهم .

ان الاستقلال الكنتوني والوطنية في سويسرا قد ضاعفا عدد الجامعات . وعلى بعد اربعين ميلا من لوزان في الناحية الاخرى من بحيرة جينف تقع جامعة جنيف ، التي احتفلت بمرور اربعمئة عام على تأسيسها منذ بضع سنوات واقرب من هذه في الكنتون القريب على بعد ثلاثين ميلا الى الشمال تقع جامعة Fribourg وبقربها على بعد ٣٠ ميلا تقع جامعة برن، ولكل من هذه الجامعات فروع في الطب والقانون ، واللاهوت والفنون .

ان سويسرا هي مثال يصح ان تحتذيه اوروبا في اعتناقها فكرة الثقافة الوطنية التي هي في ذات الوقت ثقافة عامة شاملة .

(عن ملحق التيمس التربيوي)

التربية البدنية[1]

في المانيا

« لقد زار الديار الالمانية منذ بضعة اشهر وفد مؤلف من كبار موظفي مجلس التهذيب الانكليزي ، ومن ادارة التهذيب الاسكتلاندي ومن طائفة قليلة من ذوي التحقيق والخبرة ، وذلك بدعوة من الحكومة الالمانية . فوضع هذا الوفد الخطير تقريراً افرغه في قالب رسالة عالجت التهذيب البدني في المدارس والجامعات الالمانية ومختلف الجمعيات القومية . وهذا التقرير هو في معظمه وثيقة وصفيه ، على انه يحاول ايضاً ان يقدر القيم ويوازن الاساليب الالمانية بالاساليب المتبعة في البلاد الانكليزية . واليك زبدة ما جاء في خاتمته » : —

ان تطورات التربية البدنية لهي طريفة وبعيدة المرمى وشائقة كل الشائقة ، بل هي مثقفة في كثير من الاحيان . فقد احل موضوع التهذيب البدني في المدارس المحل العالي في منهاج الدراسة وضرب بسهم وافر من الخطورة والمقام الرفيع . اما في الجامعات فقد جعل اجبارياً على جميع الطلاب ، فلم يعد في مقدور الطالب الجامعي ان يرقى الى الفصل الرابع دون ان يقبل على جسمه فيروضه رياضة مستمرة بحيث يصبح من ذوي الكفايات فيها . وهنالك رغبة شديدة في التهذيب البدني تتناول الامة الالمانية جمعاء ، وليست هذه الرغبة بناجمة عن كونها لاذة في ذاتها ، داعية الى الصحة الطيبة ومتضمنة بين ثناياها طرقاً مبهجة لقضاء اوقات الفراغ فحسب ، بل لأنها ترمي الى احترام النفس وتبوئها مكانها بين الامم في الرفعة والكرامة ، وتحقق لها سلامتها او انتصارها في ازمنة الحرب . ان التربية

---

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف .

البدنية مرتبطة كل الارتباط بالاشتراكية الوطنية. ومن الواضح لدى كل الماني انه بعد قيامه بالواجبات المشروعة يتحتم عليه ان يقوم بواجب ادبي وهو ان ينشئ من نفسه مواطناً قوي الساعدين مجدول العضل ، معتقداً ان الرجل الذي لا صحة له هو عالة قومية كما ان يعتبر حسن الصحة ربح قومي. وصفوة القول فالشعب الالماني لا يدخر وسعاً في توفير اسباب التهذيب البدني وتقديم جميع الامور التي تعمل على إعلاء مناره.

وقد يتساءل المرء : ألم يبلغ الاهتمام بالتربية البدنية حد الافراط وتتضحى من جرائه نواح اخرى من التهذيب والتربية. وبعبارة اصرح أليس الافراط في تربية الجسم مدعاة الى التفريط في تهذيب العقل. ومن المعلوم ان الجسم هو مسكن للعقل وهيكل للنفس. ان الشعوب الالمانية تفكر في هذا الافراط تفكيراً حاسماً وتقول ان الامة الالمانية قاست من الصعاب والمشقات في سابقات الايام ما سبب لها جموداً عقلياً وتشاؤماً وتدهوراً وضعفاً عاماً ادى الى شل الحركة القومية عند اقبال الضائقة. وان ما يرمون اليه بهذه التربية ان يعودوا بالجسم الى مكان الكرامة الذي يحق له بفضل انه شريك متساو في ثالوث الجسد المعطى من الله (الجسم والعقل والنفس) وان يخرجوا من انفسهم شعباً متكافئاً في كل ناحية من نواحي التربية الثلاث. وتقول المانيا الحديثة انه ليس من حاجة الى جيوش من الشبان والشابات المتعلمين ، ولكنهم على تعلمهم ضعفاء متشائمون سوداويون ، بل الى شبان وشابات ذوي اتزان وقوة في اجسامهم كما في عقولهم ، اجسام تقوى على احتمال الواجبات والمشقات من الجهة الواحدة ويحلو النظر اليهم من الجهة الاخرى.

هذه هي الحجج التي يدلي بها الالمان دفاعاً عن اسرافهم في التهذيب البدني ولعل هنالك شيئاً من الحق معهم. ان الشعب الالماني لفي حاجة الى امور اصلاحية

وربما كانت هذه الامور مستعملة الآن · اما السؤال عما اذا كان العلاج بلغ حد التطرف فلا نقدر ان نبت فيه الآن . وربما جاز لنا ان نكشف عما يخالج افئدتنا من خشية ان يكون الامر قد افرط فيه من جهة شعب تحول اجودما فيه لسوء الحظ الى عدو للجيد . ان التربية البدنية امر فائق في حد ذاته غير انه اذا افرط في تطبيقه على الامة كلها الى درجة تصحى معه تربية العقل وتربية النفس عاد بالنتائج السيئة على امة لها عظمة اتساعها ومكانتها ، وبالتعب على العالم بأسره .

ان الامة الالمانية لفي كفاح وهو كفاح الشباب وقد تخرج منه ، والفوز رائدها لانه ما من احد ينكر على المانيا مصادر قوتها وحيوتها ، وخير دليل على ذلك ما ظهر منها ايام الحرب العالمية .

هذا وان الوفد لم يقم لديه ما يقنعه بان الوسائل والموادوالاساليب الفنية المتبعة في المانيا افضل مما هي عليه في بريطانيا العظمى . وان كان ثمة من فرق فهو ان الامة كلها تحت التزام شرعي او ادبي تقضي به هذه التربية ، وان الوسائل هنالك اشد تنوعاً وعدداً واكثر تنظيما واتساقاً . وصفوة القول فان الاعمال التي قام بها الشباب حتى الآن كانت عظيمة وستكون اعظم في المستقبل دون ريب ، على انا لسنا على يقين تام من ان هؤلاء الشباب ، وهم يسعون السعي الحثيث الى خلق المانيا خلقاً جديداً على حسب المثل الاعلى الذي يبغونه لها يكتب لهم في النهاية النجاح .

رغبة الاطفال واختبارهم وعلاقتهما بالعلوم

— ٢ —

إن قائمة الاسئلة التي نشرت من قبل المحققين والفاحصين الآخرين (مثلا من قبل وسبورن في اميركا) تشابه قائمة الاسئلة في هذه الكراسة . ويظهر ان هذا التعميم الاولي للظواهر الطبيعية منتشر بين جميع الاطفال في كل دور من دورات نشأتهم ونموهم وان نفس الشذوذ والمتناقضات تثير الاسئلة نفسها في كل مكان، واذا درست هذه الاسئلة درساً مستفيضاً دقيقاً فانها تلقي نوراً على مصاعب الطفل الذهنية والعقلية وتسدي مساعدة كبرى في ترتيب منهاج قويم يلائم الطفل ويفي بحاجاته. وزيادة على ذلك فهي ترينامدى اختلاف الاطفال في هذه الناحية .

(١) (ح) اللعب في الألهيات العلمية

اوصى منذ مدة بعض علماء التربية والتعليم بعمل منهاج يحتوي على دروس شيقة في الألهيات العلمية وقد دافعوا عنها كثيراً لتحل محل دروس العلوم التقليدية ولفحص هذه النظرية الجديدة قد عملت احصاآت في الألهيات التي يملكها عدد كبير من الصفوف الابتدائية .

في احد هذه الصفوف الابتدائية مثلا وعدد طلابه (١٨) طفلا في سن الحادية عشرة (١٧) طفلا منهم يملكون مصابيح كهربائية(Electric Torches) (١٤) يملكون اجهزة للراديو (٨) يملكون محركات كهربائية صغيرة (٦) يملكون الآت بخارية (٨) يملكون آلات تصوير (١٠) يملكون فوانيس سحرية(١٨) كرامافونات (١٢) يملكون آلات موسيقية مختلفة (٤) يملكون ادوات كيماوية (١٠) يملكون دراجات (واحد) يملك ماكينة خياطة (١٥) يملكون ساعات (٧) يملكون

قطارات صغيرة زنبركية (١٧) يملكون علب دهان . وبين عشر بنات (٦) منهن يملكن مصابيح كهربائية (٤) يملكن راديو (٥) يملكن افراناً للطبخ (٨) يملكن آلات تصوير (٦) يملكن فوانيس سحرية (٨) يملكن كرامافونات (١٠) يملكن آلات موسيقية مختلفة (٧) يملكن دراجات (١٠) يملكن ماكينات خياطة (٨) يملكن ساعات (٣) يملكن قطارات صغيرة زنبركية (٨) يملكن علب دهان .

وقد سئل الاطفال السؤال الآتي « ماذا أفعل بالهيتي المحبوبة » وطلب إليهم ان يجيبوا على ذلك كتابة . وقدبينت الاجوبة هذهان ميل الاطفال للميكانيكيات يحصر في الذكور فقط خلافاً لميل الجنسين وحب استطلاعهم القوي العجيب في الظواهر والحقائق الطبيعية . فهم يفككون إلهياتهم ويقرأون عنها وكثير منهم يكتسبون معلومات مدهشة في طريقة اشتغالها وحركتها .

أما البنات فهمهن الوحيد ان يعرفن ماذا يعملن بهذه الالهيات وماذا يستفدن منها ولم يظهرن سوى قليل من المعرفة العلمية . ولاجل تعيين معرفة الطلاب الذكور وحدودها طلب اليهم ان يشرحوا بوضوح وضبط كيف تشتغل احدى الهياتهم الميكانيكية وان يقدموا اسئلة عن اي شئ فيها مما يحيرهم ويربكهم . وقد وجد ان اكثرهم يعرف ان بطارية المشعل هي التي ترسل تياراً خلال (اللمبه) عندما تقفل الدائرة الكهربائية وهذه نماذج من اسئلتهم : — لم لا تسيل الكهرباء وتخرج من البطارية ؟ وكيف تستطيع الدخول الى اللمبه المقفلة ؟ وكيف تستطيع أن تعمل نوراً دون ثقـــــاب ؟، والطفل الذي يعرف كل شيء عن الآلات يسأل عادة « كيف يستطيع البخـــــار تحريك مكبس الآلة البخارية الى اعلى ثم الى اسفل ؟ » .

وبالاجمال فقد بينت هذه النتائج ان الولد الفني (Technician) مثله كمثل

الرجل العملي يتحرى في الماكينات ما يلزم لتشغيلها وليس له احتياج كبير الى قسمها النظري الذي لا يساعده في الوصول الى غايته المنشودة المستعجلة . ولكن عندما يثار حب الاستطلاع فيه يضع السؤال نفسه الذي يوصل الى العلوم النظامية.

نعم ان هذا الميل الفني يؤمن التعرف والاستئناس بكثير من الادوات والآلات العلمية ويبعث الرغبة في التعلم عنها ولكن لا يتعلم منها حتى الاولاد الاذكياء ما تعلمه العلوم الطبيعية النظامية. فالاعتماد الكلي على هذه الالهيات والآلات الميكانيكية هو اهمال وتجاهل لحب الاستطلاع الذي يمهد السبيل الواسع والصراط المستقيم للوصول اليها. واهمالها كما يفعل كثير من الاساتذة هو اضاعة الفرصة السانحة .

اما اسئلة البنات ، فلم تظهر سوى ميل بسيط الى ادوات البيت الميكانيكية وعلى كل حال فانهن في الثانية عشرة من اعمارهن قد أظهرن حب استطلاع في السماء والاجرام السماوية اكثر منه في المطبخ وادواتـه .

٢ — ميل الاطفال ورغبتهم في الاشياء الحية

(ا) تربية الحيوانات

(ب) اسئلة عن الحيوان

(ج) البستنة

(د) اسئلة عن النبات

٢ (ا) تربية الحيوانات

إن الميل الى تربية الحيوانات يكاد يكومعدوماً عند الاطفال جميعهم . والنتائج الآتية تمثل هذه الرغبة وذلك الميل .

اجريت استقصاءات في صف عدد طلابه (٤٠) اعمارهم في الحادية عشرة .

وجد بينهم ٣٩ طالباً يقتنون حيوانات مختلفة ويعتنون بتربيتها عناية اكيدة. وفي ما يلي اسماء الحيوانات وعدد الاطفال الذين يربونها .

الذين يربون قططاً (او قططاً صغيرة) (١٨) طالباً. الذين يربون الكلاب (١٧) طالباً . الارانب (١٤) الطيور واكثرها الحمام والكنار (١٦) السمك ، (١١) الضفادع الصغيرة (١٩) دود الفراش (١٣)

ان هذه النتائج حققت في حالات متعددة وقد وجد ان عدداً كبيراً لا يستهان به من هؤلاء الاطفال يعرف طبائع الحيوانات التي يربونها وحياتها وغرائزها معرفة جيدة . وإنه لمن الاهمية بمكان ،في هذه المناسبة أن نلاحظ ان ٣٩ طالباً من هؤلاء الاطفال الذين يدرسون في مدرسة تبعد ١٦ ميلا عن مدينة لندن قد زاروا حديقة الحيوانات مرات كثيرة وان اكثرهم قد شاهد اشرطة سينمائية كثيرة في دروس حياة الحيوانات .

٢ (ب) اسئلة عن الحيوان ، ٢٢٢ = ١١ ٪

واسئلة على حياة الانسان ١٤٠

الطفل في الثامنة والتاسعة من عمره يفترض ان الانسان هو القياس لجميع الأشياء على الاطلاق ولهذا فهو يتساءل عن اسباب هذه الفوارق والاختلافات التي يختلف فيها عن الحيوان فيسأل لماذا لا تتكلم الحيوانات ؟ ولم يكون لها اربع أرجل ؟ لم لا تضع على عينها المريضة نظارات ؟ لم يمشي الانسان منتصباً على رجلين اثنتين ؟ لماذا لا يكون لنا ذنب ؟ ما السبب في اننا نتكلم ولا تتكلم الحيوانات ؟ وهو يفترض ان جميع الحيوانات تسكن في بيوت ثابتة كالانسان فيسأل : اين يسكن الجمل ؟ ولماذا لا يكون لبيت الطيور سقف ؟ لماذا تكون بيوت العصافير مبنية على الشجر ؟

وتتخذ الحيوانات المألوفة ايضاً قياساً للحيوانات غير المألوفة وكلما توسع الاختبار تظهر نقط جديدة . على ان معظم الاسئلة تدور حول السبب في هذه الاختلافات فيسألون مثلا لماذا خلقناذ كراً وانثى؟ لم لا نكون كلنا متشابهين؟ اما التشابه فلم يسأل عنه ابداً بل الشذوذ والتناقض هما دائماً الباعثان للتساؤل والاستفسار وهذه نقطة من الاهمية بمكان عظيم في التعليم.

اسئلة المنشأ : بعض الأطفال في سن الحادية عشرة قد التقطوا معلومات مبعثرة من هنا وهناك عن نظرية النشوء والارتقاء فكانت اسئلتهم هل انحدرنا نحن من آدم أم من بعض الوحوش البحرية ؟ الطيور لها اجنحة وكان لها فيما مضى ذراعان . لم لا يكون للكلب اجنحة ؟

الفوارق والاختلافات الخارجية : لم يكون للطير ريش، وللقنفذ شوك وللطير منقار ايضاً، لم يكون للثور قرون ولا يكون للكلب مثله ؟ لم خلقت بعض الحيوانات ضعيفة والاخرى قوية ؟ لم يكون ذكر الطير اجمل من انثاه ؟ لم تولد الجراء عمياء ؟ اين يكون راس الدودة ؟ اين يكون فم الحلزون ؟ هل للطير اسنان؟ وهل للحلزون وللخلد اعين ترى بها .

الاختلافات الفردية : لم يكون لبعض الاطفال شعر مجعد ؟ لم يكون بعض الناس مغرورين ؟ لم يكون لون الافريقي اسمر ويكون لون الهندي احمر ؟

اصوات الحيوانات وحركتها : لم تعوي الكلاب ولا تموء ؟ لم تثغو الغنم ؟ لم تطير الطيور ؟ الخ . لم لا تطير الضفادع ؟ كيف تسبح الاسماك في الماء

وكيف تزحف الحيات ؟ (يعني ذلك دون ارجل) كيف يمشي الذباب على السقف كيف تقدر الكلاب على السباحة دون ان تتعلم ذلك ؟ كيف تعرف الدودة المحل الذي هي ذاهبة اليه ؟

القوى الخارقة: الحياة تحت الماء : كيف تتنفس الاسماك تحت الماء ؟ لم لا يعيش السمك خارج الماء ؟ اذا كان السمك يأخذ الهواء في تنفسه فلم لا يعيش خارج الماء ؟ لم لا نستطيع ان نعيش تحت الماء ؟ لماذا يموت السمك اذا صب الزيت على سطح الماء المحدود الذي يعيش فيه ؟ لم يفتح السمك فاه ؟ كيف يعيش كلب البحر في ماء البحر ؟ لم تمكث بعض الاسماك في قعر البحر ؟ كيف ترى الاسماك داخل الماء وكيف تنام ؟

الغرائز : كيف يعرف الطير ان يعمل عشه ؟ لم تستطيع القطط ان ترى في الظلام ؟ لماذا يعمل المحار اللؤلؤ وتغير بعض الحيوانات الوانها عند الخطر، ويطير الفراش حول اللمبة ، ويتجول النحل في جماعات واسراب ؟ اذا كان الحوت لا يستطيع ان يبتلع السمك فكيف ابتلع يونس (يونان) ؟

من المفروض ان تكون جميع الحيونات نافعة وخالية من الخلل ، وان جميع الاعضاء مفيدة فلم خلقت الاشياء المؤذية والمضرة ؟ ما نفع الحيات ولزومها في هذه الحياة ؟ ما هي حاجة البلاد الى الذباب ؟ لماذا يولد بعض الاولاد صما ؟ ويولد البعض عرجاً ؟ والبعض الآخر مكفوفين ؟ ما الفائدة التي تجنى من الرموش والحواجب والشعر وغيرها ؟ ما فائدة اللوزتين لنا إذا كان علينا ان نستأصلهما في بعض الاحيان ؟

النمو : ان النمو المستمر يسترعي انتباه الطلاب ولكنهم يقفون مشدوهين

امام التغير الفجائي المنقطع فهم لا يستطيعون ان يعرفوا كيف ينمو الشعر او كيف تظهر الاسنان ، والاظافر من اللحم . او كيف تسيل الدموع ويحصل العرق . فيظهر ان العقل يتطلب دائماً الاستمرار في التغير. فمن اسئلتهم: لماذا ننمو ونكبر ثم نتوقف عن النمو وهل القلب ينمو ويكبر كما تنمووتكبر اليد ؟ كيف يتشكل البيض في الطير وكيف يتكون الطير في البيض ؟ كيف تتحول دودة الحرير الى شرنقة وكيف تتحول الشرنقة الى فراشة وكيف تحصل الفراشة على الوانها المتعددة؟ة عندما يخلع الضرس فمن أين يأتي الضرس الجديد ؟ أي قسم من اقسام بيضة البطة يصبح عظما ؟

اسئلة متنوعة : لم لا نحس بألم عندما نقص شعرنا ، لماذا نحلم في اثناء النوم الخ

٢ (ح) البستنة

إن الاعتناء ببستنة الزهور في أقضية الضواحي لهو من التسليات العامة والمنتشرة بين جميع الاطفال . وتبين لنا الاستقصاءات :

(١) ان كل ثلاثة اطفال من اربعة يملكون حديقة خاصة يشتغلون بها جميعهم.

(٢) إن اختبارهم في زراعة الحدائق ومعرفتهم بها قد تجاوزت اكثر العمليات البسيطة . فقد احضر ما يقرب من نصف الاطفال بذوراً لاكثر النباتات السنوية ولقسم كبير من النباتات الدائمة .

(٣) إن جميع الاطفال تقريباً يعرفون جميع زهور الحدائق وحشائشها كما يعرفون بعض الطيور التي تزورها والحشرات والهوام التي تغشاها كالفراش وغيرها وبعضهم قد التقط معلومات واسعة من آبائهم .

والاجوبة على الموضوع الذي اعطي لهم « ماذا اعمل في حديقتي » تبين

بوضوح ان اكثريتهم يشتغلون في حدائقهم اشغالا منظمة وبعضهم يقضي قسماً كبيراً من وقته فيها .

٢ (د) اسئلة عن النبات

٧٠ سؤالا = ٣،٥ ٪

منشأ النبات : من هو الشخص الذي عمل النبتة الاولى ؟

منشأ النباتات المختلفة الفردية : كيف تتكون البذور ؟ كيف خلقت لتنبت نباتات مختلفة ؟ من اين تأتي الحشائش (بينما نحن لا نزرعها) ؟ من اين تنشأ الاحراج ؟ الخ .

النمو : كيف تصير البذور نباتاً ؟ كيف يصنع شجر المطاط المطاط نفسه ؟ من اين يأتي الحليب لشجر جوز الهند ؟ كيف تعمل اوراق التويج ؟ لماذا يتحول الحشيش الى تبن وقش ؟

اللون والرائحة : كيف يحصل النبات على الالوان المختلفة ؟ كيف يستطيع النبات الواحد أن يحصل على الوان مختلفة ؟ لم يكون للزهور رائحة ؟

الاختلاف والتفاوت في النمو والزهر : لماذا تنمو بعض النباتات اسرع من غيرها ؟ لماذا تموت في الشتاء ؟ لماذا يجب زرع النباتات في كل سنة ؟ كيف تعيش تحت الماء ؟ لماذا تزهر النباتات في اوقات مختلفة من السنة ؟

الاستمرار في الحياة : لماذا تموت الاشجار اذا قطعت اوراقها ؟ لماذا تفقد ورقها في الشتاء وتعيش مدة الشتاء دون ورق عليها ؟ كيف يتنفس النبات ؟

ان الاحصاءات التي أجريت في البستنة وفي تربية الحيوانات تبين ان للاطفال خبرة عملية واسعة في الحيوان والنبات وانهم في حدود هذين الميلين جيدو الملاحظة كما ان اكثر اسئلتهم تنحصر في الحيوان والنبات او في الفصائل الكبيرة فيهما كفصيلة الطيور وفصيلة السمك وفصيلة الاشجار . وهي لا تدل على ملاحظة عميقة او على تمييز دقيق بل يشير معظمها الى نقاط لا تغرب عن بال المشاهد العادي . وزيادة على ذلك فهي تتطلب تفسيراً وشرحا لا يعطيهما سوى دروس نظامية في علم الاحياء .

ويظهر ان التقسيم الحالي في منهاج العلوم الى علوم وصفية تعطى قبل سن الحادية عشرة وعلوم تفسيرية تعطى بعد هذه السن لا يتفق ونمو العقل الطبيعي . ويمكن القول ان التعليم النظامي في المشاهدات في سن التاسعة سابق لاوانه كالتعليم النظامي في القياسات الدقيقة في سن الحادية عشرة .

(٤) اسئلة متنوعة

٦٧٠ سؤالا = ٣٣ ٪

٣٥٤ سؤالا عن الجغرافيا والتاريخ .

١٠٠ سؤالا عن بعض الكلمات ومعانيها .

٢٤ سؤالا عن الكتب ومؤلفيها .

٢ سؤالان عن الفنون الجميلة .

٥٦ سؤالا عن تسمية الاشياء .

٥٥ سؤالا عن الحياة الاجتماعية .

٤٩ سؤالا عن الدين .

٣٠ سؤالا عن الحياة الاجتماعية .

لم تسأل اسئلة عن ادب اللغة .

ان هذه الاسئلة خارجة عن نطاق هذه الاستعلامات على انها تظهر بعض الحقائق المهمة .

(١) ان نصف الاسئلة التى تختص بالجغرافيا والتاريخ هي اسئلة تنشأ منها الاختراعات والاكتشافات ومنشأ التضاريس الطبيعية: مثلاعن الجزائر وعن الحقائق الاجتماعية . وعن الكثافة . ومن العجيب ان يكون معظمها (٥٠ سؤالا) عن منشأ المعرفة . واليك بعض هذه الاسئلة .

كيف يستطيعون ان يعرفوا شكل البلاد من الخارطة . كيف يستطيعون ان يعرفوا شكل النجوم ومواقعها الخ .

(٢) كثير من هذه الاسئلة هي عن الحقائق والحوادث الحسية ، وعن البراكين والزلازل والحروب والثورات والطيران وغيرها من النكبات . وعن التفوق في كل ناحية من نواحي الحياة . ويظهر ان حب الاستطلاع الطبيعي في عدد غير قليل من الاطفال قد تحول الى تحر عن الحقيقة العظمى في كل ميدان من ميادين الاعمال . فهم يريدون ان يعرفوا أعلى جبل ، واكبر محطة للسكك الحديدية ، واسرع باخرة وابشع شعب ، واعظم استاذ في الطبيعة . ومن الصعب ان نذكر كم من هذا الميل الى المحسوسات اساسه فطري وكم منه يرجع الى التأثير الناتج عن الجرائد المبتذلة الرخيصة وعن الاشرطة السينمائية .

(٣) ان اسئلة الاطفال في الصفوف الابتدائية الكائنة في احياء الطبقة الغنية والتي قد بعثتها واوحت بها القراءات العمومية بالاخص القراءات عن العجائب والغرائب والحوادث الجارية والجرائد المبتذلة لاكثر من الاسئلة التي قد أثارتها قوة الملاحظة مباشرة. وان الاسئلة عن الاشياء التي قد تعلمها الطفل في المدرسة في كل مرحلة من مراحل تعليمه لقليلة جداً .

(٤) يظهر ان اهتمام الطفل في مسائل الحياة الاجتماعية يأخذ في النمو عند

الحادية عشرة من عمره . فقد كان هؤلاء الاطفال مستهجنين جداً بعض العادات والتقاليد والموضات والاذواق المختلفة حتى الضرائب التي يفرضها القانون. وهناك اسئلة كثيرة كالآتية :

لماذا نصافح باليد، لماذا تتهافت الناس لرؤية القصور الخربة، ولماذا يجب علينا ان ندفع ثمنا للماء ، وان ناخذ رخصة للكلاب وندفع عليها رسماً . لماذا يكون قاطع الطريق محبوبا من قبل النساء .

(٥) اما الاسئلة عن الحياة المدرسية فلم يصدر اكثرها سوى من الاطفال في التاسعة من عمرهم . مثلا لماذا يجب علينا ان نقدم امتحانات . لماذا نأخذ عطلة في كل سنة . لماذا اخترع الحساب ، لماذا يكون للمدرسة رئيسة . الخ. على أن هذه الاسئلة تختفي في سن الحادية عشرة ثم تظهر ثانية في سن الثالثة عشرة ولكن في لهجة المنتقد . فمثلا لماذا نتعلم الطبيعة في حين انها لا تنفعنا ؟

(٦) وهناك ميل قوي ولكنه مخفي وهو تسمية الاشياء .

لماذا يكون للزهور والاشجار اسماء تعرف بها ، كيف استطاعوا معرفة اسماء النجوم السيارة . ثم سؤال آخر يمكن ان يكون طبقاً للاصل لكثير من الاسئلة ، وهو لماذا سميت البلاد الخضراء (Green Land) بلاداً خضراء مع كونها بيضاء ؟ ويظهر انه من البديهي عند الاطفال ان تكون الاسماء مشتقة اشتقاقا منطقياً عن مسمياتها .

(٧) لم يكن بين هذه الاسئلة المتنوعة سوى سؤال واحد عن الفنون الجميلة ، وهو : لماذا يكون لون الجبال والتلول في الرسوم احمر ثم سؤال آخر عن الاشرطة السينمائية وهو : هل دموع النجوم السينمائية حقيقية .

(٨) ومن الغريب ان لا يكون بين هذه الاسئلة المتنوعة سؤال واحد عن

القصص التي يقرأهـا الاطفال في مدارسهم مع العلم ان اغلب الاطفال ان لم يكن جميعهم يميلون الى القراءة . هذه الحقيقة تلفت نظرنـا الى ان الميول تختلف كثيراً في انواعها كما انه يمكن للنوع الواحد ان يطغى على الآخر . (ان مذهب الميول والرغائب لم يعط هذه الحقيقة الاهتمام الـكافي واللائق بها) .

ان الاشياء التي تثير حب استطلاع الذكور والاناث من الاطفال كما تظهر من اسئلتهم المتنوعــــــة تتشابه كثيراً، على ان هذا التشابه بينهما يأخذ في النقصان حول سن الحادية عشرة التي تظهر فيها الاختلافات وتصبح واضحة للعيان .

حسن عرفات

نجم هوى

— ماركوني — ١٨٧٤ — ١٩٣٧

نعى البرق في العشرين من تموز سنة ١٩٣٧ علماً من اعلام العلم ونجماً من نجوم العبقرية . ولقد كان البرق ينعي باثق البرق ومبدع اعاجيبه . اصاب الردى فؤاد ماركوني العظيم على عجل فاهتزت لوفاته ايطاليا وباقي العالم ونكست لفقده اعلام ايطاليا ومشى في جنازته عظماء دولتها وشعبها ورثاه رئيس مصلحة البريد الانجليزي واجمع العالم على انه فقد نابغة من افذاذ نبغاء العصر . قضى ماركوني وهو في اوائل العقد السابع من عمره وكم قضى عظماء في عقدهم السابع . وقد كان في الاربعة عقود الاخيرة من حياته يواصل البحث والتجريب لابداع علم اللاسلكي ومات بعد ان قرب اللاسلكي العالم المتمدن وجمعه في غرفة واحدة تتجاوب اصداؤه المنبعثة من اقصى نواحيه بين جنباتها الضيقة . لقد نجح ماركوني في العمل الذي اخذ على نفسه القيام به وبلغ رسالة العلم والعبقرية وقضى بعد ان نال اقصى ما يرجوه الفرد من عز وجاه وغنى . ومن الحق للمركيز ماركوني ان يفخر بحياته الحافلة وان يقضي مرتاح النفس قانع الفؤاد بما قدم وبما نال ولكنه لم يترك الحياة مطمئن النفس وقد اسف ان يسخر العلم الذي خدمه وكرس لخدمته حياته وذكاءه في الاستعداد للحرب وليس في ابعاد شبح الحرب . وحقنا ان نستنتج من اسفه هذا انه لم يعمل فكرة ولم يضع وقتاً في اختراع اشعة مهلكة توقف الحركة كما عزت اليه المجلات البعيدة عن الاوساط العلمية والتفكير العلمي الحصيف ، فقد عاش ماركوني لخدمة العلم والانسانية لا لدمارها .

ولد المركيز ماركوني في بولون Bologna احدى مدن ايطاليا سنة ١٨٧٤ ودرس في جامعتها وهي جامعة من اقدم جامعات اوروبا وابعدها شهرة. وكان عصر الكهرباء قد انبثق نوره قبل ولادته بنصف قرن تقريباً ففي سنة ١٨٣٢ اتم فرادي الانجليزي تجاربه وابحاثه لانتاج التيار الكهربائي من تحريك ملفات من الاسلاك بين اقطاب من المغناطيس، ووضع اسس الكهربائية ثم جاء ماكسول James Clerk Maxwell العالم الانجليزي ايضاً فاتم ما بدأه فرادي Farady وكان ماكسول عبقرياً رياضياً فاثبت بالمعادلات الرياضية امكان الحصول على امواج كهربائية عند حدوث تفريغ كهربائي لوجود قوتين متعادلتين هما قوة الكهرباء وقوة المجال المغناطيسي ينتجان امواجاً في اتجاه عمودي لكل منهما كما تنشأ امواج البحر بتأثير قوة الريح وقوة جذب الارض للماء.

وحقق العالم الالماني هنريخ هرتز Heinrich R. Hertz بالتجربة ماتنبأ عنه ماكسول رياضياً واخترع الآت عملية لاحداث هذه الامواج التي جاءت طبق ما تنبأ عنه ماكسول. ومات هرتز هذا سنة ١٨٩٤ لما كان ماركوني في العشرين من عمره وقد تخرج من الجامعة واشتغل بالهندسة الكهربائية ورأى بثاقب فكره ان ما بسطه ماكسول رياضياً وحققه هرتز تجريبياً قد يكون له أثره البعيد في ارسال الصوت على امواج الاثير والتقريب بين بلدان العالم بالمواصلات الكهربائية العظيمة السرعة، اذ تدور حول الكرة الارضية سبع مرات في الثانية.

لامر ما هجر ماركوني موطنه ايطاليا الى انجلترا ليتم تجاربه التي بدأها قبل ذهابه الى انجلترا باربع سنوات. وقد كتب له النجاح في انجلترا وتمكن سنة ١٨٩٩ من ارسال رسائل لاسلكية عبر القنال الانجليزي من انجلترا الى فرنسا ثم خطا خطوته الكبيرة نحو تحقيق تخيله العظيم وحلمه البعيد سنة ١٩٠٢ اذ تمكن من ارسال رسالة

لاسلكية عبر المحيط الاطلنطي بين انجلترا واميركا كما ارسل من انجلترا الى ملك ايطاليا وقيصرروسيا رسالة وهما في روسيا .

كان نجاح ماركوني في ارسال هذه الرسائل البعيدة فاتحة العهد العملي المنتج للاسلكي وتعاقبت بعد هذا النجاح التوسيعات الكثيرة والتحسينات الكبيرة في التلغرافية واللاسلكية والاذاعة حتى كان في العالم سنة ١٩٢٠ اكثر من مئتي محطة لاسلكية .

وسنة ١٩٠٩ نال ماركوني جائزة نوبل في الطبيعيات اعترافاً بفضل بحوثه كما نال اوسمة عديدة من دول مختلفة ، وجامعات كثيرة وكان ماركيزاً وعضواً في مجلس الشيوخ الايطالي ورئيساً للاكاديمية الايطالية .

لقد قضى ماركوني بعد ان فتح عصراً جديداً باعاجيب العلم وكان ابوه ايطاليا وامه من بولندا وقد عاش ردحاً من الزمن في بلاد الانجليز وقام هناك بتجاربه الناجحة فلا غرابة ان يكون لوفاته رنة اسى بعيدة الانتشار عميقة الأثر في جميع انحاء العالم . ولا ندري من يحمل بعد ماركوني مشعال عبقريته وعبء رسالته .

محمد عبد السلام البرغوثي

اقتراح

سعادة مدير الكلية العربية المحترم .

اتشرف ان ارفع اليكم هذه الاقتراحات . فاذا حازت قبولا ارجو ان تسمحوا بنشرها في مجلة « الكلية العربية » ليعلق عليها اخواني الخريجون ما يرونه من ملاحظات .

١ — ان تؤلف جمعية للخريجين يكون رئيسها الشرفي مدير الكلية .

٢ — ان تؤلف لجنة يرأسها مدير الكلية لتنظيم رحلات سنوية .

٣ – ان تقام في ملعب الكلية «حفلة رياضيـة» كل ثلاث سنوات مرة. ويحضرها اكبر عدد ممكن من الخريجين. وان يعين لذلك اسبوع يطلق عليه «اسبوع الخريجين» يتدرب فيه الخريجون على مختلف الالعـاب الرياضية تحت اشراف مفتشي الرياضة. وتكون الكلية محل اقامة المشتركين في هذا الاسبوع.

٤ – ويفسح المجال لمعلمي ادارة المعارف من غير الخريجين في الاشتراك في الرحلات والالعاب.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

الخريج

الياس توفيق دانيال

بيت جالا

فهرست

صفحه		
١	العمل البيتي	
٩	هل الدور الذي يلعبه المعلم في تغير	للاستاذ حبيب الخوري
١٥	درس الانشاء	للدكتور اسحق موسى الحسيني
٢٢	تربية حس الزمن في التاريخ	للاستاذ احمد خليفه
٢٥	بين اروقة المدرسة	للاستاذ ابرهيم مطر
٣١	الحضارة العربية كعامل من عوامل حضارة الامم.	للاستاذ محمد عبد السلام البرغوثي
٤٠	السلاح في الحروب الصليبية	الدكتور محمد هادي الحاج مير
٥٢	دار الكتب والمدرسة العمومية.	
٥٥	المتحف الشعبي في القدس	للاستاذ متري برامكي
٥٩	جامعة لوزان	
٦٢	التربية البدنية في المانيا	
٦٠	رغبة الاطفال واختبارهم وعلاقتهما بالعلوم	للاستاذ حسن عرفات
٧٧	نجم هوى	للاستاذ محمد عبد السلام البرغوثي
٧٩	اقـتراح	للاستاذ الياس توفيق دانيال